وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور يحيى فارس –المدية-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

# النكت النحوية والبلاغية للقراءات القرآنية

## -نماذج مختارة من القرآن الكريم-

مذكرة لنيل شهادة ماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص لسانيات الخطاب

إعداد الطالبة:

- علاء الدين بوخاتم

إشراف الأستاذ:

- حسين سعدودي

السنة الجامعية: 2023-2024

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور يحيى فارس –المدية-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

# النكت النحوية والبلاغية للقراءات القرآنية

## -نماذج مختارة من القرآن الكريم-

مذكرة لنيل شهادة ماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص لسانيات الخطاب

إعداد الطالب:

- علاء الدين بوخاتم

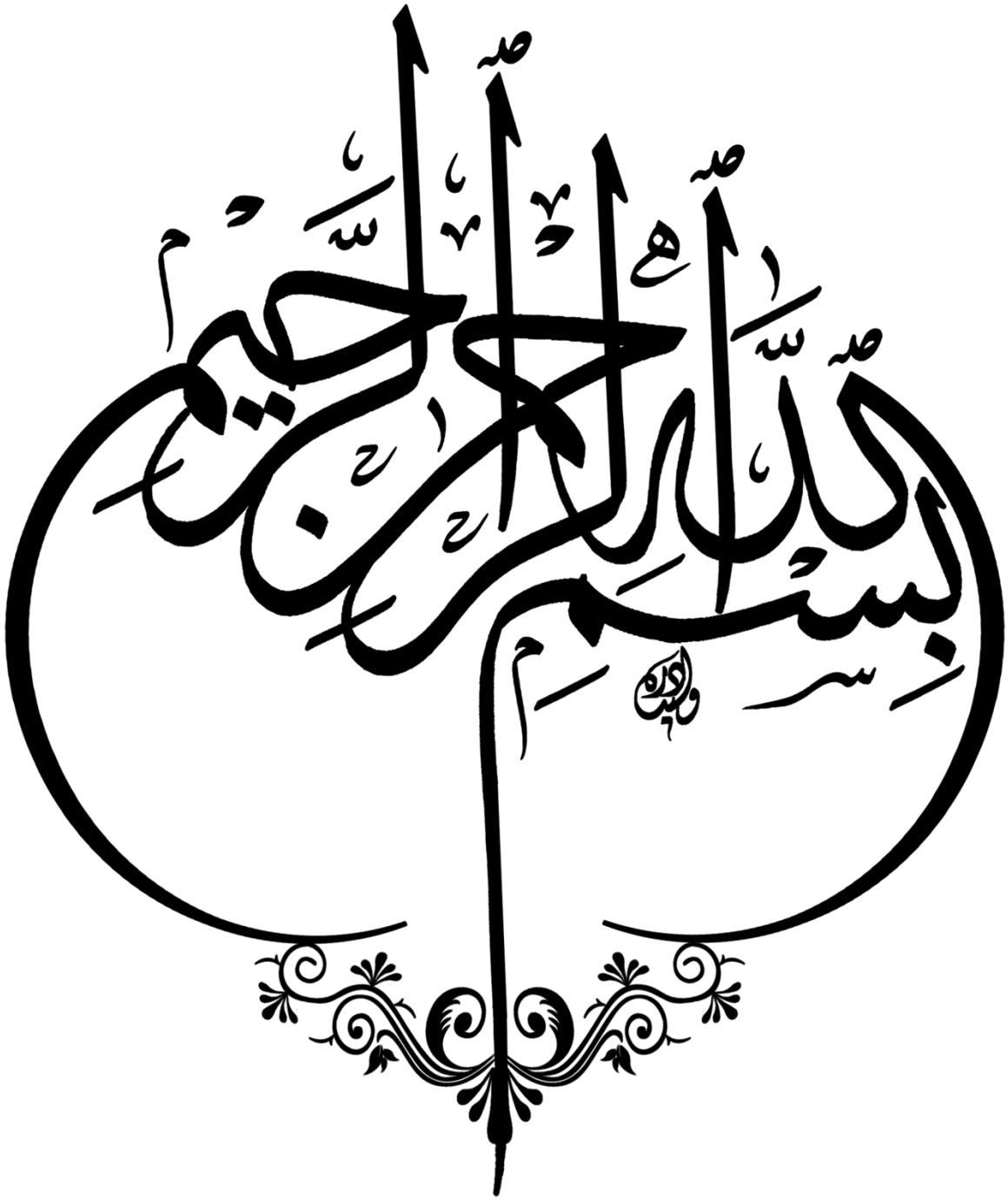
إشراف الأستاذ:

- حسين سعدودي

لجنة المناقشة

| الأعضاء | الرتبة | الصفة |
|---|---|---|
| ميلود عبابسي | أستاذ | رئيسا |
| حسين سعدودي | أستاذ | مشرفا ومقررا |
| أحمد فجر | استاذ | عضوا مناقشا |

السنة الجامعية: 2023-2024


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿1﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿2﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿3﴾
الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿4﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿5﴾ ﴾ سورة العلق الآية 05/01

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ سورة الحشر الآية 19.

﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ سورة النجم الآية

﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ سورة النساء الآية 79.

﴿ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿88﴾ ﴾ سورة القصص 88.

# إهداء

الحمد لله وحده أولا على نعمة الإيجاد والإمداد، وأصلي وأسلم على سيدنا المعلم بلا أعداد

ثم أهدي هذا الجهد إلى من حملتني صغيرا، وتحملتني كبيرا، إلى من لا تكلّ، ولا تملّ من العطاء، إلى من جادت وربت وتعبت وسهرت وبكت؛ ليحصل لنا ضدُّ ما حصل لها، أميّ الهدية الرحمانية والرحمة الثرية.

إلى عمود البيت وأساسه وسقفه الرجل الصابر المجاهد والولي الصالح لك أهدي كلماتي ودعواتي.

إلى إخوتي: عبد الرحمن، أنس، حسام، وأنفال جعلكم الله من الصالحين، وأسبل عليكم سرادقات سرّه.

إلى العالم اللبيب والشيخ الحنون والمربي الحكيم سيدي الشيخ مصطفى بن عمار دنفير أفاض الله علينا من بركاته، وإلى معلمي الشيخ أسامة، أدامه الله تاجا فوق رؤوسنا.

إلى مشايخي وأساتذتي، إلى كلّ من علمني حرفا، وأسمع إلي نصيحة، أسأل الله أن يحشركم مع سيد السادات، والمعلم الأكبر المنوّر المُنَوَر، صلى الله عليه وسلم.

إلى رفقاء المقصورة والجامعة، كلّ باسمه وصالح وسمه، أعطاكم الله من خيري الدنيا والآخرة.

إلى من أقدمت يوم تأخرنا، وجادت يوم أقترنا، وجاهدت لمّا تخلفنا، وشمخت لما خُذلنا، إلى التي ثبتت يوم تزعزعنا، إلى معقل الأنبياء، ومدرسة الشهداء، وجامعة الأولياء، إلى غزّة العزّة أهدي ثمرة هذا العمل، أعزها الله وحررها من كيد الأعداء، ورزقنا الله أجرهم، وأحسن نيتنا في حب الجهاد معهم.

**علاء الدين**

# شكر وتقدير

أول واجب علينا شكر لربنا، ثم لوالدينا، والصلاة والسلام على محمد سيدنا ونبينا وقوفا عند قوله صلى الله عليه وسلم. << فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله>> رواه أحمد وأبو داود والبخاري، وقوله صلى الله عليه وسلم: <<من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه>> رواه الترميذي والنسائي.

أتقدم بأرقى عبارات الشكر والامتنان للأستاذ الدكتور الصابر، والمثابر الذي تواضع وأشرف علينا الدكتور سعدودي حسين، ولما قدّمه من إرشادات ونصائح تكتب بماء العين، سدّدت خطى حياتنا، وخطى البحث.

إلى من أتعبته، وقال فيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: << إنّ الله وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلّون على معلم الناس الخير>>رواه الترميذي، أسأل الله أن يكلله بمرضاته، ويجعله من العلماء المخلصين.

كما لا يفوتني شكر وتقدير أعضاء اللجنة والمتمثلة في كل من الأستاذ فجر احمد والعربي ركي على تواضعهم وقبولهم مناقشة هذا البحث وقراءة هذا العمل وتدقيقه فجزاهم الله خير الجزاء.

وإلى كل أساتذة الجامعة الذين تشرفت بالدراسة عليهم خالص المودة والتقدير.

# مقدمة

**مقدمة:**

الحمد لله المنان العلام والصلاة والسلام على نبينا محمد المربي والمجاهد المقدام

أما بعد:

إن القرآن الكريم الذي هو مصدر التشريع والتربية نزل على نبينا العربي محمد صلى الله عليه وسلم في جزيرة العرب بلسان قومه الذي تحداهم الله على أن يأتوا ولو آية من مثله. مما لا يجهله عاقل أن القرآن معجزة أخرصت المتطاولين والمعنتين من العرب فزجرهم وقوّم أخلاقهم، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿192﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿193﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿194﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿195﴾ ﴾سورة الشعراء الآية 195/192.

هذا وقد كان القرآن ولا زال سببا في بزوغ فجر العلوم العربية وفنونها من نحو وصرف وبلاغة وتفسير، فتناول العلماء قديما وحديثا دراسة كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ووقف العلماء صفوفا في تحدي موجات الشبهات والأباطيل لدحضها، وهبوا لدراسة اختلاف القراءات القرآنية، فوجهها العلماء وكشفوا الشبه التي تعلقت بها، وبيان المجاز والأوجه التي حُملت عليها القراءات القرآنية، مع ذكر تعليقات لها، وتعليلات، وتخريجات لغوية، ونكت نحوية وبلاغية. ومن أهم الكتب التي تلقفت البحث القرآني من الجانب الصرفي والنحوي والبلاغي وكانت القاعدة الأساس نذكر أهمها على سبيل التمثيل لا الحصر أولها كتاب "الكتاب" لسيبويه، والخصائص، وأسرار البلاغة للجرجاني، والإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، شرح الكتاب للسيرافي، والأصول في النحو لابن السراج، والكافية في علم النحو لابن الحاجب، والبحر المحيط لأبي حيان ومجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى لكشاف للزمخشري والتحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، وغيرها وبالرغم من كل ما قدمه الأولون والآخرون من علماء ومفسرين وبلاغيين لفتح عوالم التدبر والتفكير في أسلوب إعجاز القرآن وبيانه وبلاغته وبسط علاقته الوثيقة باللغة العربية وقوة صلته بعلومها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية فإن الباب والعروج في هذا البحث لا يزال مفتوحا أمام العلماء الباحثين، ذلك أن القرآن كلام الله الذي

لا تنقضي عجائبه ولا تفنى أسراره، ولا تُبلَغ بلاغته ولا يحيط العالمون كنهه وسره، لذا نجد في كل عصر يظهر من العلوم ما كان خافيا ومن الأسرار ما كانت معجزة.

ثم إن الدّراس في مجال بحثنا هذا لا يكاد يجد كتابا يروي ظمأه ويشبع نهمه في مجال القراءات القرآنية إلا إذا فتش في بطون كتب القدماء ونفض الغبار عنها، ولا يجد إلا القلة القليلة من المعاصرين الذين تناولوا هذا الجانب بعمق وجدية.

ونظرا لميولانا ورغباتنا في خوض غمار هذا البحث ارتأينا أن نرتشف منه ولو شيئا يسيرا، فبعد البحث والدراسة والاستخارة والمشاورة تأملنا أن نقوم بسياحة خفيفة لطيفة نحوية بلاغية في القرآن الكريم مع العلم أن من السابقين من تطرق لهذا الموضوع لكن من الناحية النظرية أكثر من التطبيقية ومن الدراسات الأكاديمية من أهملت الجانب البلاغي لهذه الدراسة فمزجنا بينهما، أي (الجانب النحوي والبلاغي) لشدة تعالقهما.

وما جعلنا مُتَشَوّفين مُتَشَوقينَ لمعرفة هذه الملح النحوية وبالأخص البلاغية، هو معرفة الإعجاز البلاغي والتلذذ الروحي بتلك اللطائف العميقة الدقيقة التي ألف فيها علماؤنا مجلدات وكتب بماء العين وسر الروح ونور العقل وتوهجه.

وكل هذا للإجابة على إشكالية مفادها: ما القيمة الدلالية والفنية للنكت النحوية والبلاغية في اختلاف القراءات القرآنية؟

وما مدى تأثيرها في المتلقي للقرآن الكريم؟

وهل كتب القدماء تفي بالغرض وبإيصال المعلومات بسهولة؟

ونظرا لترددنا منذ الصغر على الكُتاب والمدرسة القرآنية بفضل الله وتوفيقه ثم بفضل الوالدين، تربى فينا حب القرآن والدراسات المتعلقة به لا سيما التفسير والقراءات القرآنية وتولدت لدينا رغبة في إنشاء جيل قرآني فريد كما قال ذلك السيد قطب –رحمه الله–في كتاب معالم في الطريق، ووقوفا عند الآية الكريمة: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا

﴿ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾سورة الفرقان الآية 30. وعملا بقول سيدنا –رسول الله صلى الله عليه وسلم–<<خيركم من تعلم القرآن وعلمه>> رواه مسلم.

ورجاؤنا في جمع القراءات القرآنية وتبليغها للطلبة والحافظين.

ولهذا كان علينا عقد الخطة البحثية التي قسمناها إلى فصل نظري وفصل آخر تطبيقي وفرعنا كل فصل إلى أربعة مباحث.

**الفصل النظري:** وعنوناه بحدود ومفاهيم لكل من القرآن والقراءات والنحو والبلاغة. وفرعناه نحو أربعة مباحث بحيث خصصنا

المبحث الأول: لدراسة ماهية القرآن لغة واصطلاحا، فقمنا بوضع مطلب أول وتطرقنا فيه إلى ماهية القرآن في اللغة واستعنا في ذلك إلى العديد من المعاجم التي وردت فيها ماهية القرآن وسرنا على نفس النحو في المطلب الثاني إلى ماهية القرآن في الاصطلاح وخلصنا في الأخير بمخطط يوضح ما درسناه في هذا المبحث.

المبحث الثاني: الذي وقفنا في مطلبه الأول على ماهية النحو لغة بشكل مفصل، أما المطلب الثاني الذي تمحور على ماهية النحو اصطلاحا وفيه خلصنا لمفهوم النحو مع مخطط أرفقناه في الأخير يُلخّص مضامين هذا المبحث.

المبحث الثالث: كشفنا فيه اللثام عن ماهية البلاغة ضمن مطلبين مطلب يحمل ماهية البلاغة في اللغة ومطلب يحمل ماهية البلاغة في الاصطلاح وأنهينا المبحث بمخطط بسيط يلخص مفهوم البلاغة باختصار.

المبحث الرابع: وأدرجنا فيه تعريف فصاحة الكلام وفصاحة المتكلم وفق مطلبين كذلك بالإضافة إلى التعاريف المهمة في بحثنا هذا لنخلص في الأخير بمخطط يعرض أهم ما قدمناه في هذا المبحث.

أما **الفصل التطبيقي:** الذي عنوناه هو الآخر بالقراءات القرآنية دراسة تطبيقية (نحوية بلاغية) وفرعناه إلى أربعة مباحث. بحيث احتوى المبحث الأول: على استخراج مختلف

الآيات القرآنية من الربع الأول من القرآن ودراسة نكته النحوية والبلاغية. وكذلك هو حالنا مع المبحث الثاني: الذي درسنا فيه الآيات القرآنية من الربع الثاني من القرآن دراسة نحوية وبلاغية. وكذا هو الحال في المبحث الثالث: مع اختيار آيات قرآنية من الربع الثالث من القرآن. والمبحث الرابع: وقفنا فيه على آيات من الربع الرابع من القرآن بدراستها هي كذلك نحويا وبلاغيا.

وهذه الدراسة ربما تنهض بالأمة إلى الاعتناء بكتاب الله ودستور حياتنا. وربما تحيي قلوبا وتنير عقولا أنهكتها الشبهات وتذيق وترفع من همة الطالب والحافظ لكتاب الله، وتفتح أبوابا موصدة أمام الباحثين والطلاب لتلقي علم القراءات.

ومن الأهداف الدافعة لاختياري هذا الموضوع فهم خطاب ربنا السامي وتبليغه والعمل به، ومن ثم تبليغ تلك الملح والنكت للجيل الصاعد، وحسب تجربتنا وتجربة المشايخ أنها تحبب القرآن لدى الطالب وتثير فيه التساؤلات والالتفات لفهم وتفهيم خطاب خالقنا، وكذلك من الأهداف المهمة أو قل هو مشروعا: الاعتناءُ بالقراءات القرآنية وجمعها بأعلى سند ونيل شرف خدمة كتاب الله وفتح مدارس تربية قوية تُكَوّنُ طلابا وفي نفس الوقت معلمين يصدحون بالقرآن ويبلغونه لنتربى على ما رُبّي عليه الجيل الأول.

ولسير البحث في مساره الصحيح ارتأينا الاعتماد على المنهج الوصفي الذي قمنا من خلاله بوصف المدونة القرآنية واستقراءها نحويا ثم بلاغيا والمقارن مع سمات المنهج التاريخي وذلك في الجانب النظري من التعريفات، فشرعنا فيه من القدامى مرورا بالمحدثين وما أضافوه في كتبهم وما تداركوه في بحوثهم.

معتمدين على دراسات سابقة منها بعض الكتب التي أفادتنا في بحثنا هذا نذكر: أولا التوجيه النحوي في القراءات القرآنية سورة آل عمران أنموذجا، مذكرة تخرج من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، تخصص لسانيات عربية جامعة قاصدي مرباح ورقلة كلية الأدب إعداد الطالبة فضيلة قريدة، كما استفدنا من دراسات سابقة التي أحسن صاحبها

بارك الله جهده وهي مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في العلوم الإسلامية للطالب عبد القادر تواتي.

وما يجدر بنا ذكره بعض المصادر والمراجع التي ساعدتنا في بحثنا هذا مبتدئين بالمعجمات كمعجم العين للخليل وتهذيب اللغة للأزهري والصحاح للجوهري ولسان العرب لابن منظور ومن الكتب التي ساعدتنا في الدراسة القرآنية كتاب معترك الأقران في إعجاز القرآن، والإتقان في علوم القرآن وكلاهما للسيوطي، والتيسير في القراءات السبع للإمام الداني، ومن كتب النحو والبلاغة استعنا بأساس البلاغة للزمخشري، ومقاييس اللغة لابن فارس، والأصول في النحو لابن السراج، والخصائص لابن جني كل هذه الكتب كانت لنا خير معين في بحثنا هذا.

أما عن الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا هذا هي عدم توفر المراجع ورقيا، وصعوبة التعامل مع النص القرآني، وموسوعية القرآن وضيق الوقت.

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر والاحترام والتقدير لأستاذنا سعدودي حسين المشرف على رحابة صدره ونفسه الطويل الذي عمل جاهدا على تصويب الأخطاء وتوجيهنا طيلة رحلتنا البحثية هذه، كما نتقدم بخالص الشكر والاحترام لكل من ساندنا من قريب أو بعيد في إسداء نصيحة أو الإفادة بمرجع أو حتى الدعاء لنا فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

تم بحمد الله.

# الفصل الأول:

# حدود ومفاهيم لكل من القراءات والقرآن والنحو والبلاغة

## المبحث الأول: حدود ومفاهيم

### المطلب الأول: ماهية القرآن الكريم لغة واصطلاحا:

#### أ/ القرآن في اللغة:

جاء في معجم العين: ‹ قرأ وقرأت القرآن عن ظهر قلب، أو نظرت فيه، ما نظرت فيه من شعر أو حديث. وقرأ فلان قراءة حسنة فالقرآن مقروء، وأنا قارئ. ورجل قارئ عابد ناسك وفعله التقري والقراءة. ونقول قرأت المرأة قرء إذا رأت دما وأقرأت إذا حاضت فهي مقرئ، ولا يقال: أقرأت إلا للمرأة خاصة. فأما الناقة فإذا حملت قيل قرؤت قروءة. قال عمرو: ذراعي هيكل أدماء بكر هجان اللون لم تقرؤ جنينا›[1].

وورد في تهذيب اللغة (مادة قرأ) قال أبو إسحاق الزجاج:‹‹يسمى كلام الله الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم كتابا، وقرآنا، وفرقانا وذكرا.

قال: ومعنى قرآن معنى الجمع، يقال: ما قرأت هذه الناقة سلى قط إذا لم يضطم رحمها على الولد(..) وقال يجوز أن يكون معنى قرأت القرآن لفظت به مجموعا أي ألقيته وأخبرني أنه قرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين وكان يقول: القرآن اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت، ولكنه اسم كتاب الله مثل التوراة والإنجيل. وقال: ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن، كما تقول إذا قرأت القرآن››[2].

وورد كذلك في معجم الصحاح للجوهري‹‹(...)[3] قرأت الكتاب قراءة وقرآنا، ومنه سُمي القرآن، وقال أبو عبيدة: سُمي القرآن لأنه يجمع السور فيضمها وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ﴾ أي جمعه وقراءته ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾أي قراءته، قال ابن عباس: فإذا بيناه لك

---

[1]- معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، تح: مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي دار مكتبة الهلال، 1431هـ، من الثلاثي المعتل باب القاف والراء، ص205/204.

[2]– تهذيب اللغة، الأزهري، تح: محمد عوض مرعب، دار الإحياء التراث العربي، بيروت ط1، 2001، ج9، باب القاف والراء، ص209.

[3]– لم ننقل كلاما أورده صاحب الصحاح وهو مكرر وسبق ذكره وللاطلاع ينظر: فصل القاف مادة قرأ ص64.

بالقراءة فاعمل بما بيناه لك، وفلان قرأ عليك السلام وأقراك السلام، وأقرأه القرآن فهو مقرئ، وجمع القارئ قرأة مثال " كافر وكفرة " والقراء: الرجل المتنسك، وقد تقرأ أي تنسك والجمع القراؤون. قال الفراء: أنشدني أبو صدقة الدبيري:

بيضاء تصطاد الغوي وتستبي بالحسن قلب المسلم القراء

وقد يكون جمعا للقارئ>>[1]

<<وقد سماه الله بالقرآن والفرقان والعظيم والعزيز والحكيم والكريم والنور والهدى والتذكرة والذكرى والرحمة والشفاء والكتاب المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم والحق اليقين والموعظة الحسنة والآيات البينات وحبل الله وصراط الله(...)>>[2].

وجاء في كتاب مباحث في علوم القرآن <<قرأ تأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضا إلى بعض في الترتيل والقرآن في الأصل كالقراءة مصدر قرأ قراءة وقرآنا. (...) تقول: قرأته قرءًا وقراءة وقرآنا بمعنى واحد مسمى به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر. وقد خص القرآن بالكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فصار له كالعلم الشخصي.

ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن وعلى كل آية من آياته، فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صح أن تقول: إنه يقرأ القرآن.

وذكر بعض العلماء أن تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله لكونه جامعا لثمرة كتبه، بل يجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ سورة الأنعام الآية:38. وذهب بعض العلماء إلى أن لفظ القرآن غير مهموز الأصل في الاشتقاق إما لأنه وضع علما مرتجلا على الكلام المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وليس مشتقا

[1]– الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ط4، 1408هـ، 1987م، ص64.

[2]– فضائل القرآن وتلاوته، الرازي، تح: الدكتور عامر حسن البصري، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1994 ص27.

من قرأ، وإما لأنه من قرن الشيء بالشيء إذ ضمه إليه، أو من القرائن لأن آياته يشبه بعضها بعضا فالنون أصلية وهذا رأي مرجوح والصواب الأول>>[1]

(أي كونه وضع علما مرتجلا على الكلام المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وليس مشتقا من قرأ).

وما يظهر لنا من خلال التعاريف اللغوية المختلفة أن لفظ القرآن غير مهموز، ويعنى به الضم والجمع أي جمع السور فيضمها ويضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض. وهو كلام الله المنزل بواسطة جبريل عليه السلام على النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

**تعريف القرآن اصطلاحا:**

قال السيوطي – رحمه الله – في كتابه معترك الأقران في إعجاز القرآن: <<إنّ إطلاق السلف رضي الله عنهم على كلام الله أنه محفوظ في الصدور مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف بطريق الحقيقة لا بطريق المجاز، وليس يعنون بذلك حلول كلام الله تعالى القدير في هذه الأجرام تعالى الله عن ذلك وإنما يريدون أن كلامه جل وعلا مذكور مدلول عليه بتلاوة اللسان وكلام الجنان، وكتابة البيان، فهو موجود فيها حقيقة وعلما لا مدلولا لأن الشيء له وجودات أربع: وجود في الأذهان، ووجود في الأعيان، ووجود في اللسان، ووجود بالبيان، أي بالكتابة بالأصابع فالوجود الأول الذات الحقيقي وسائر الوجودات إنما هي باعتبار الدلالة والفهم. وبهذا تعرف التلاوة غير المتلوَ والقراءة غير المقروء والكتابة غير المكتوب، لأن الأول من كل قسمين من هذه الأقسام حادث والثاني منها قديم لا نهاية له>> [2]

[1]– مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1981م، ص20. ومن يرد الاستزادة فعليه بالعودة إلى المعاجم.

[2]– معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1988، ج1، ص4.

أي أن كلا من التلاوة والقراءة والكتابة أمور حدثت بعد أن كُتب القرآن في اللوح وتُلي وقُرئ والله أعلم.

وأورد السيوطي أيضا في كتابه الإتقان كلاما، يسيل جمالا عن القرآن، فقال:<<وإن كتابنا القرآن لهو مُفجر العلوم ومنبعها ودائرة شمسها ومطلعها أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء وأبان فيه كل هدي وغي (...) فالفقيه يستنبط منه الأحكام ويستخرج حكم الحلال والحرام، واللغوي يبني منه قواعد إعرابه ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني يقتدي به إلى حسن النظام وتعتبر البلاغة من صوغ الكلام وفيه من القصص والأخبار وما يذكر أولي الأبصار، هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب تبهر العقول وتسلب القلوب وإعجاز عظيم لا يقدر عليه إلا علام الغيوب>>[1]

والقرآن الكريم يتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والخواص، بحيث يكون تعريفه حدا حقيقيا، والحد الحقيقي له: هو استحضاره معهودا في الذهن أو مشاهدا بالحس كأن تشير إليه مكتوبا في المصحف أو مقروءا باللسان فتقول هو ما بين هاتين الدفتين، أو تقول هو ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى قوله تعالى:

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ سورة الناس الآية 60.

كما يذكر العلماء تعريفا له يقرّب معناه ويميزه عن غيره بأنه:<<كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته.

"فالكلام" جنس في التعريف يشمل كل كلام وإضافته إلى الله يخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة.

[1]–الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د/ط 1974، ج1، ص16.

"المنزل" يخرج كلام الله الذي استأثر به سبحانه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ سورة الكهف الآية109.

وتقييد المنزل بكونه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يخرج ما أنزل على الأنبياء من قبله كالتوراة والإنجيل وغيرها من الكتب السماوية.

"المتعبد بتلاوته" يخرج قراءات الآحاد، والأحاديث القدسية إن قلنا: إنها منزلة من عند الله بألفاظها لأن التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، وليست قراءة الآحاد والأحاديث القدسية كذلك>>[1]

وإضافة لما سبق يقول أبو عمرو الداني:<<القرآن العظيم الذي هو كلام الله عز وجل ورحمته لهذه الأمة؛ فمن أخذه فقد أخذ بنصيب وأجر من إرث النبوة، ومن حفظه ووعاه فقد استدرج النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه. لقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ سورة العنكبوت الآية 49. كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم، وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل؛ من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين والصراط المستقيم(..) من علم علمه سبق ومن قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر>>[2]

وعليه ما يمكن استنتاجه من خلال مجموع التعاريف أن التعريف الاصطلاحي مستنبط من التعريف اللغوي إذ تجمع بينهما علاقة تكامل فالقرآن الكريم هو كلام من عند الله متعبد بتلاوته وحفظه وتدبره والعمل به في مختلف مجالات الحياة حيث أنه دستور

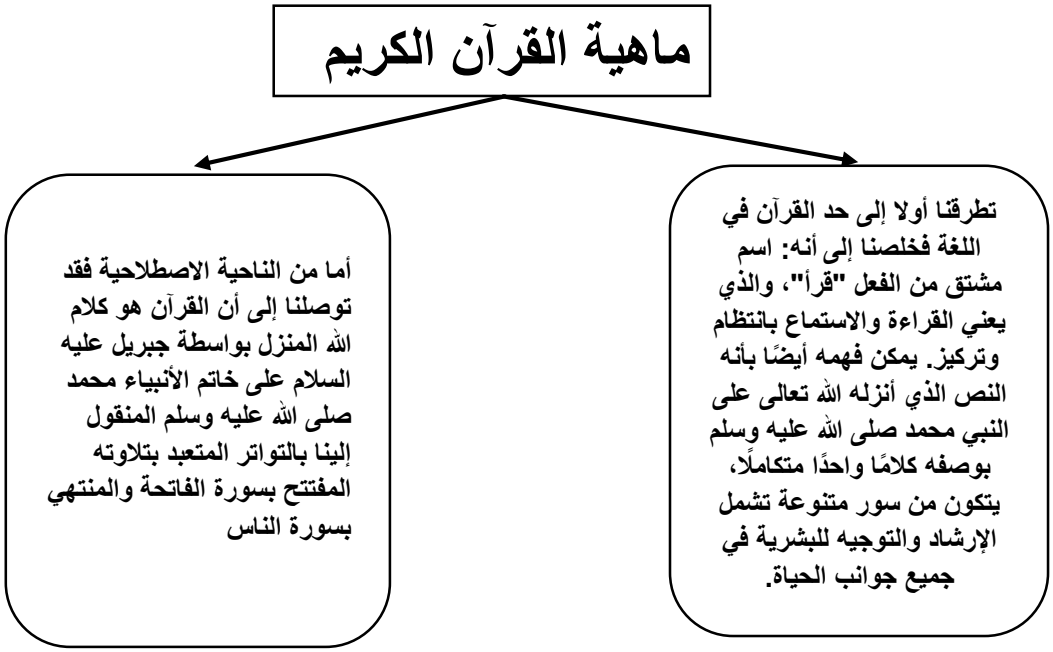
[1]– مرجع سابق، مباحث في علوم القرآن، ص21/20. ومن يرد الاستزادة والاطلاع أكثر فعليه بمجموع الكتب التالية: اللغات في القرآن، ابن حسنوي، ص19. ودرة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي، ص10. وكتاب فضائل القرآن وتلاوته، الرازي، ص27.

[2]– التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، تح: خلف محمود سالم والشيخ علي بن عبد الرحمن الحنيفي دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط1، 2015م، ص15.

الحياة ونهجها المنزل على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم؛ بواسطة ملك الوحي جبريل عليه السلام.

ولا يسمح المقام هنا أن نذكر الفرق بين الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية وكلام الله تعالى – القرآن–وكذلك لا يسعنا المقام أن نذكر فضائل القرآن الجمة، فنترك الحديث عنها للكتب والعلماء الأجلاء، من بينها فضائل القرآن للمستغفري (ت432)، فضائل القرآن وتلاوته للرازي(ت454)، آداب حملة القرآن للنووي(ت676)، وفضائل القرآن لابن كثير(ت774) ص 166/164، البرهان في علوم القرآن (ت794)، وغيرها من المصنفات المفيدة التي تظهر نكَاتُ القرآن البديعة ولطائفه السامية وأسراره الباقية الراقية.

وبهذا نكون قد ختمنا المبحث الأول الحامل في طياته لماهية القرآن الكريم لغة واصطلاحا، بالإضافة إلى إبراز بعض المصادر والمراجع؛ التي لا ينبغي على طالب علم جهلها وإغفالها، فبقراءتها يزال الإبهام وتمحق الأوهام، وتتنور الأفهام، ويعرف ويحبّ العلاَّم سبحانه، وقد أوجزنا في هذا الفصل؛ لكثرة المصنفات والكتب، وتوفر البحوث والأطروحات حول هذا فذكرنا ما يحصل به الفهم ويزال به الجهل والوهم.



## المبحث الثاني: ماهية القراءات القرآنية

بعدما تطرقنا في المبحث السابق لمفهوم القراءة، وحدّ القرآن بشكل مفصل، نعمد هنا إلى ماهية القراءات القرآنية، ونأخذ نبذة عن القرّاء، والمقرئين، وعلم القراءات، والمؤلفات التي تخص ذا الفن.

ورد في كتاب الحجة للقراء السبعة (أن سبب ورود القرآن على سبعة أحرف) هو التخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفا لها، وتوسعة ورحمة، وإجابة لقصد نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام؛ حيث أتاه جبريل فقال له: <<إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف، فقال صلى الله عليه وسلم: أسأل الله معافاته ومعونته، إن أمتي لا تطيق ذلك>> ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف.

### معنى الحرف:

قال أهل اللغة: <<حرف كل شيء طرفه ووجهه وحافته وحده وناحيته، والقطعة منه. والحرف أيضا: واحد حروف التهجي كأنه قطعة من الكلمة.

قال الحافظ أبو عمرو الداني– رحمه الله –: معنى الأحرف التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا تتوجه إلى وجهين. أحدهما: أن يعني أن القرآن أُنزل على سبعة أوجه من اللغات؛ لأنّ الأحرف جمع حرف في القليل كفلس وأفلس، والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾سورة الحج الآية 11. فالمراد بالحرف الوجه>>.[1]

أي على النعمة والخير وإجابة السؤال والعافية، فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأن وعبد الله، وإذا تغيرت عليه وامتحنته بالشدة والضر ترك العبادة وكفر، فهذا عبد الله على وجه

[1]– الحجة للقراء السبعة، أبوعلي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، (ت377هـ)، تح: بدر الدين فهوجي، تح: عبد العزير رباح وآخرون، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط2، 1993م، ج1، ص554.

واحد. فلهذا سمّى النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأوجه المختلفة في القراءات، والمتغاير من اللغات أحرفا، على معنى أن كل شيء منها وجه والوجه الثاني من معناها: أن يكون سمى القراءات أحرفا، على طريق السعة كعادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه وما قاربه وجاوره، وكان كسبب منه، وتعلق به ضربا من التعلق، كتسميتهم الجملة باسم البعض منها، فلذلك سمى النبي صلى الله عليه وسلم القراءة حرفا، وإن كان كلاما كثيرا من أجل أن منها حرفا من غير نظمه، أو كسر، أو قلب إلى غيره، أو أصل، أو زيد أو نقص منه، على ما جاء في المختلف على عادة العرب في ذلك واعتمادا على استعمالها.

قلت: وكلا الوجهين محتمل إلا أن الأول محتمل احتمالا قويا في قوله صلى الله عليه وسلم:«سبعة أحرف» والثاني أي سبعة أوجه وأنحاء محتمل احتمالا قويا في قول عمرو رضي الله عنه في الحديث: «سمعت هشاما يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أي على قراءات كثيرة وكذا قوله في الرواية الأخرى: سمعته يقرأ فيها أحرفا لم يكن نبي الله صلى الله عليه وسلم أقرأ بها».[1]

**ما المقصود بهذه السبعة؟**

اختلف العلماء في المقصود بهذه السبعة؛ مع إجماعهم على أنه ليس المقصود أن يكون الحرف يقرأ على سبعة أوجه، نحو "أف وجبريل، وأرجه، وهيهات، وهيت"، وعلى أنه لا يجوز أن يكون المراد هؤلاء السبعة القراء المشهورين، وإن كان يظنه بعض العوام، لأن هؤلاء السبعة لم يكونوا خلقوا ولا وجدوا. وأوّل من جمع قراءتهم أبو بكر بن مجاهد في أثناء المائة الرابعة، وأكثر العلماء على أنها لغات، ثم اختلفوا في تعيينها ثم يناقش ابن الجزري هذا القول ويعرض غيره من الآراء ثم يردها.

**ما وجه أن تكون سبعة دون تكون أقل او أكثر؟**

[1]– مرجع سابق، الحجة للقراء السبعة، ص5.

قال الأكثرون: إن أصول قبائل العرب تنتهي إلى سبعة، أو إن اللغات الفصحى سبع، وكلاهما دعوى.

وقيل: ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد؛ بحيث لا يزيد ولا ينقص بل المراد السعة والتيسير وأنه لا حرج عليهم في قراءته بما هو من لغات العرب من حيث إن الله تعالى آذن لهم في ذلك، والعرب يطلقون لفظ السبع والسبعين والسبعمائة ولا يريدون حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص، بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ سورة البقرة الآية 261. وقوله تعالى أيضا: ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ سورة التوبة الآية 80. وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: <<إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة>>.[1] وهذا جيد لولا أن الحديث يأباه فإنه ثبت في الحديث من غير وجه أنه لما أتاه جبريل بحرف واحد قال له ميكائيل: استزده وأنه سأل الله تعالى التهوين على أمته، فأتاه على حرفين، فأمره ميكائيل بالاستزادة، وسأل الله التخفيف فأتاه بثلاثة ولم يزل كذلك حتى بلغ سبعة أحرف.

وفي حديث أبي بكر: <<فنظرت إلى ميكائيل فسكت، فعلمت أنه قد انتهت العدة>> فدل على إرادة حقيقة العدد وانحصاره ولا زلت استشكل هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة حتى فتح الله علي بما يمكن أن يكون صوابا إن شاء الله، وذلك أني سعة القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها، فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها وذلك إما:

1- في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة نحو: (البخل) بأربعة و(يحب) بوجهين.

2 -يتغير في المعنى فقط نحو: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ونحو ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ وإمة.

[1]- مرجع سابق، الحجة للقراء السبعة، ص6.

3-في الحروف بتغير المعنى لا الصورة نحو: (تبلوا، وتتلوا، وننجيك ببدنك، لتكون لمن خلفك)

4-عكس ذلك نحو: (بصطة وبسطة، والصراط والسراط)

5-بتغيرهما أي المعنى والصورة نحو: (أشد منكم ومنهم ويتأل ويأتل فانصتوا إلى ذكر الله)

6-وفي التقديم والتأخير نحو: (فيقتلون ويقتلون) (وجاءت سكرة الحق بالموت)

7-في الزيادة والنقصان نحو: (وأوصى ووصى والذكر والأنثى)[1]

فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها، وأما نحو اختلاف الإظهار والإدغام والإشمام، والتفخيم والترقيق، والمد والقصر، والإمالة والفتح، والتحقيق والتسهيل، والإبدال والنقل مما يعبر عنه بالأصول فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ والمعنى، ولئن فرض فيكون من الأول، ثم رأيت الإمام الرازي حاول ما ذكرته(...) ثم وقف على كلام ابن قتيبة وحاول ما حاولنا بنحو آخر، ثم لخص كلاهما واستدرك على ابن قتيبة.[2]

وعليه ما يمكن قوله وكما قرره علماؤنا رحمهم الله أن الاختلاف على مستوى أحكام القرآن لا يعد اختلافا، وإنما الاختلاف يكون على اللفظة أو المفردة بعينها كما تم الإشارة إليه في الأمثلة.

---

[1]- مرجع سابق، الحجة للقراء السبعة، ص7/6.ومن له نهم وهمة في الاستزادة فليراجع كتاب مدخل في علوم القراءات للسيد رزق الطويل، ص29/28، سيجد فيه الباحث عن أوجه اختلاف القراءات بتفاصيلها إن شاء الله تعالى.

[2]- مرجع سابق، الحجة للقراء السبعة، ص7.

وقد حاولنا إيضاح معنى الحرف أي هو الوجه المقصود بالسبعة وأنها ليست مقصودة سبعة أوجه بعينها ولا أن يكون السبعة قراء لأنهم لم يكونوا ذلك الوقت وأكثر العلماء على أن السبعة هي لغات كما سبق ذكره ومن ثم ذكر صاحب الكتاب ما وجه كونها سبعة دون أن تكون أقل من ذلك أو أكثر وبهذا أزال الإبهام ورفع الأوهام في تفصيله حول هذا فمن شاء فليراجعه ولينظر إلى: السبعة في القراءات لأحمد بن موسى وكتاب إعراب القراءات السبع وعللها لابن خلويه، الأحرف السبعة للقرآن لأبي عمرو الداني وقد ذكر كلاما مشابها لما أورده صاحب الكتاب الحجة للقراء السبعة و التيسير في القراءات السبع أبو عمرو الداني.

نحاول الآن كشف اللثام عن المعنى اللغوي والاصطلاحي للقراءات القرآنية.

**المطلب الأول: القراءات لغة**

قال صاحب الحجة:

(...) وأقرأه القرآن فهو مقرئ، وجمع القارئ قرأة مثال كافر وكفرة، والقراء: الرجل المتنسك، وقد تقرأ أي تنسك، والجمع القراءون.

قال الفراء:<< أنشدني أبو صدقة الدبيري قائلا:

بيضاء تصطاد الغوي وتستبي بالحسن قلب المسلم القراء

وقد يكون القراء جمعا لقارئ>>[1] وقد سبق ذكره في الفصل قبله.

وقال الزمخشري – رحمه الله – في كتابه "أساس البلاغة": <<قرأت الكتاب وأقرأته غيري وهو من القراء، وقال جرير:

يا أيها القارئ المرخي عمامته هذا زمانك إني قد مضى زمني>>[2]

وورد في لسان العرب لابن منظور مادة "قرأ" في فصل القاف قرأ: << القرآن التنزيل العزيز وإنما قدم على ما هو أبسط منه لشرفه قرأه ويقرؤه، الأخيرة عن الزجاج، قرءا أو قراءة وقرءانا، الأولى عن اللخياني، فهو مقروء، أبو إسحاق النحوي: يسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه – صلى الله عليه وسلم – كتابا وقرآنا وفرقانا، ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمي قرآنا لأنه جمع السور فيضمها(...).

[1]– مرجع سابق، تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (ت393هـ)، باب الألف المهموزة فصل القاف، ص65.

[2]– أساس البلاغة، الزمخشري، تح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، كتاب القاف، ج2، ص63.

وهذا ما مر معنا في تعريف القرآن لغة، فمن هنا ندرك أن أصحاب المعاجم يستقون تعريفاتهم من مشكاة واحدة، ويأخذون من منبع واحد.

(...) ورجل قارئ من قوم قراء، وقرأة وقارئين، وأقرأ غيره يقرئه إقراءً، ومنه قيل: فلان المقرئ. قال سيبويه: قرأ واقترأ بمعنى بمنزلة علا قرنه واستعلاه، وصحيفة مقروءة.

وحكى أبو زيد: صحيفة مقرية، وهو نادر، إلا في لغة من قال: قريت وقرأت الكتاب قراءة وقرآنا، ومنه سمي القرآن، وأقرأه القرآن فهو مقرئ.

وقال ابن الأثير: <<تكرر في الحديث ذكر القراءة والاقتراء والقارئ والقرآن، والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته، وسمّي القرآن؛ لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد، والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران>>[1].

نلاحظ من خلال التعريفات السابقة أن المعاجم اللغوية اكتفت بذكر لفظ القرآن والمقرئ، ولم تذكر معنى القراءات، ولكن كتب القراء والنحويين ما أغفلوا ذلك؛ بحيث نجد أبا عمرو الداني يقول في كتابه "التيسير في القراءات السبع":<<(...) والقراءات في اللغة جمع قراءة، وهي مصدر قرأ قراءة، وقرآنا، بمعنى الضم والجمع، وقارأه مقارأة وقراء أي دارسه؛وتقرأ أي تفقه>>[2]

وقال مناع القطان في كتابه "مباحث في علوم القرآن":<<القراءات جمع قراءة، مصدر قرأ في اللغة>>.[3]

وورد في كتاب مدخل في علوم القراءات للسيد رزق الطويل: <<أن القراءات جمع قراءة، وهي مصدر قرأ، وهي الجمع والضم، يقال ما قرأت الناقة جنينا؛ أي لم تضمّ رحمها على

---

[1]لسان العرب، ابن منظور الأنصاري الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، فصل القاف، ج1، ص130/129.

[2]– التيسير في القراءات السبع لابي عمرو الداني، ص18.

[3]– مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص170.

ولد، وقال أبو عبيدة سمي القرآن؛ لأنه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى:﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿17﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ سورة القيامة الآية 17.18. أي جمعه وقراءته>>.[1]

نكتفي عند هذا الحدّ من التعاريف اللغوية لمصطلح القراءات، ونترك المجال للمصنفات الجليلة القدر العظيمة النفع.

**المطلب الثاني: القراءات اصطلاحا**

أما القراءات اصطلاحا فنشير إلى بضعٍ منها:

قال السيد رزق الطويل:<< والقارئ لكل مكتوب من شأنه أن يضمّ أصوات الحروف في ذهنه؛ لتتكون الكلمات التي ينطق بها، وفي اصطلاح القراء: القراءات وجوه مختلفة في الأداء من النواحي الصوتية، أو التصريفية أو النحوية، واختلاف القراءات على هذا النحو اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض، لأن التناقض والتضارب ينزه عنهما الكتاب العزيز، وقد قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾سورة النساء الآية 82. ولأن التناقض في القول دليل بطلانه، وقد قال رب العالمين:﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ سورة فصلت الآية 42. والتناقض لا يجتمع مع الإبانة والوضوح، وقد وصف الله كتابه فقال: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ سورة الشعراء الآية195>>.[2]

وورد كذلك في كتاب "القراءات السبع" لأبي عمرو الداني قول ابن الجزري:<<هي علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزوا لناقله>>.[3]؛ أي لناقل تلك الرواية والأئمة القراء – رضي الله عنهم – والله أعلم.

[1]–مدخل في علوم القراءات، السيد رزق الطويل، المكتبة الفيصلية، ط1، 1985م، ص27.

[2]– مدخل في علوم القراءات، ص28/27.

[3]– التسيير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني، ص19.

وعرفها الزركشي بأنها: ‹‹اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف، أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل ونحوها››.[1]

وقال شيخنا الدكتور محمد بن سيدي محمد الأمين الشنقيطي: ‹‹وتعريف ابن الجزري منصب على محل الاختلاف في القراءات لا اتفاقها، قلت: وما أحسن تعريف شيخ مشايخنا العلامة عبد الفتاح القاضي – رحمه الله – للقراءات؛ حيث قال: ‹‹هو علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطرق أدائها اتفاقا واختلافا؛ مع عزو كلِّ وجهٍ لناقله››[2].

وقال القرطبي – رحمه الله –: ‹‹وهذه القراءات المشهورة هي اختيار أولئك الأئمة القراء، وذلك أن كلّ واحدٍ منهم اختار فيما روى وعلم وجهه؛ من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى، فالتزمه طريقة ورواه، وقرأ به، واشتهر عنه، وعرف به، ونسب إليه، فقيل: حرف نافع، وحرف ابن كثير، ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر، ولا أنكره، بل سوغه وجوزه

وكل واحد من هؤلاء السّبعة روي عنه اختياران أو أكثر، وكلٌّ صحيح››.[3]

وورد كذلك تعريف آخر لعلم القراءات حيث قال: ‹‹وفي الاصطلاح هي العلم بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم من تخفيف وتشديد واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف وذلك أن القرآن نقل إلينا لفظه ونصه كما أنزله الله تعالى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ونقلت إلينا كيفية أدائه كما نطق بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وفقا لما علمه جبريل عليه السلام وقد اختلف الرواة والناقلون، فكل منهم يعزو ما يرويه بإسناد صحيح إلى النبي صلى الله عليه وسلم(...)››.[4]

وكتعريف أخير لمصطلح القراءات يقول مناع القطان: ‹‹القراءات في الاصطلاح العلمي مذهب من مذاهب النطق في القرآن، يذهب به إمام من الأئمة القراء مذهبا يخالف غيره.

---

[1]–المرجع نفسه، ص19.

[2]– التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، ص19.

[3]– مرجع سابق، ص19.

[4]–القراءات وأثرها في علوم لعربية، محمد سالم محسن، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1984م، ج1، ص10.

وهي ثابتة بأسانيدها إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم. ويرجع عهد القراء الذين أقاموا الناس على طرائقهم في التلاوة إلى عهد الصحابة، فقد اشتهر بالإقراء منهم أُبي، وعلي وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعريّ، قال: وقد قرأ على أبيّ –رضي الله عنه– جماعة من الصحابة منهم: أبو هريرة، وابن عباس، وعبد الله بن السائب، وأخذ ابن عباس عن زيد أيضًا، وأخذ عن هؤلاء الصحابة خلق كثير من التابعين؛ في كل مصر من الأمصار>>.[1]

وعليه ما يمكن استنتاجه من التعاريف التي سبق تناولها من مختلف المصادر والمراجع، أن مصطلح القراءات في اللغة جاء مكملا للمعنى الاصطلاحي؛ فجاء معنى القراءات مأخوذا من مادة قرأ في اللغة والذي عني به في الاصطلاح العلم بكيفية أداء الكلمات في القرآن الكريم.

إلى هنا نطوي صفحات ماهية القراءات لغة واصطلاحا تجنبا للإسهاب والحشو تاركين ذلك إلى المصنفات الجليلة؛ ففيها مراد الباحثين، وسلسبيل الواردين.

وسنضع بين يدي الشغوفين بعضًا من الكتب المعرّفة للقرّاء والطرق، وغير ذلك مما يروي ظمأ العطشان، ويغيث اللهفان، ويرشد الحيران، مستندين إلى رحمة المنان فأول كتاب هو

1–جامع البيان في القراءات السبع لأبي عمرو الداني، ص76/75/74.
2– الوجيز في شرح قراءات القرأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة، للأهوازي ص66/65/64.
3–العنوان في القراءات السبع لابن خلف المقرئ، ص41/40.
4–الكامل في القراءات العشر، والأربعين الزائدة عليها لأبي القاسم يوسف بن علي بن جبار، ص50.
5–الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش، ص12/11/10.

[1]– مباحث في علوم القرآن، ص170.

6-الدر النثير والعذب النمير لعبد الواحد بن محمد بن أبي الشداد. وهو كتاب في حل مشكلات، وحل مقفلات اشتمل عليها كتاب التيسير لأبي عمرو الداني.

7-الكنز في القراءات العشر للواسطي، ص111.

8-طبقات القراء السبعة، وذكر مناقبهم وقراءتهم لعبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم الشافعي، ص45.

9-القواعد والإشارات في أصول القراءات وهو كتاب لطيف، لأحمد عمر بن محمد بن أبي الرضا، الحموي الحلبي، وعدد صفحاته 55.

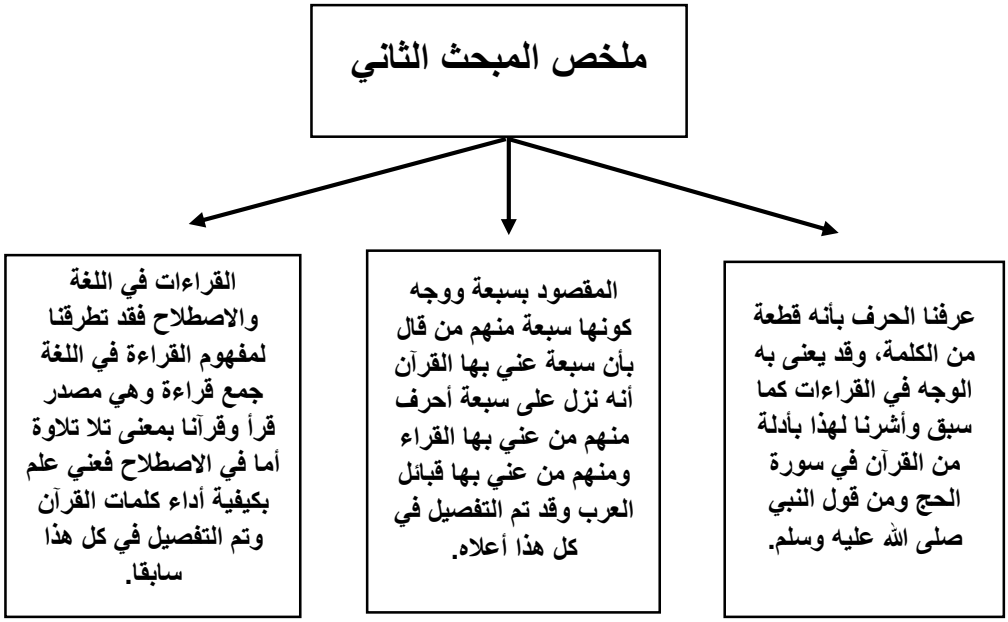
10- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري.

11- التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري.

12- مختصر العبارات لمعجم مصطلح القراءات، لإبراهيم بن سعيد بن حمد الدومري وهو كتاب في فك المصطلحات ووضع حد لها ولا ينبغي لطالب العلم أن يستغني عنه كونه يحوي مصطلحات العلم وأسسه، والمصطلحات مفاتيح العلوم كما قيل.

واعلم أيها القارئ الشغوف أني لم أضع أمام بعض المصادر الصفحات عمدا لكون الكتب كلها مفيدة ومهمة جديرة بالقراءة، ولا يخفاك أن علم القراءات باب واسع وبحر شاسع مراجعه متعددة ومصادره متنوعة، نال حظا وافرا من الطلاب والمشايخ والمقرئين مازج علوم العربية من نحو وبلاغة وصرف، فصار بذلك علما بارزا، يكشف لك عن لطائف القرآن ونكاته البديعة ومعجزاته الرفيعة.

وبعدما كشفنا بعض حجب الجهل بمعرفة القراءات لغة واصطلاحا نسير إلى معرفة علم النحو لغة واصطلاحا وكيفية تعلقه بعلم القراءات وما مدى التأثير الحاصل بين العلمين.


ملخص المبحث الثاني
عرفنا الحرف بأنه قطعة من الكلمة، وقد يعنى به الوجه في القراءات كما سبق وأشرنا لهذا بأدلة من القرآن في سورة الحج ومن قول النبي صلى الله عليه وسلم.
المقصود بسبعة ووجه كونها سبعة منهم من قال بأن سبعة عني بها القرآن أنه نزل على سبعة أحرف منهم من عني بها القراء ومنهم من عني بها قبائل العرب وقد تم التفصيل في كل هذا أعلاه.
القراءات في اللغة والاصطلاح فقد تطرقنا لمفهوم القراءة في اللغة جمع قراءة وهي مصدر قرأ وقرآنا بمعنى تلا تلاوة أما في الاصطلاح فعني علم بكيفية أداء كلمات القرآن وتم التفصيل في كل هذا سابقا.

## المبحث الثالث: ماهية النحو لغة واصطلاحا

### المطلب الأول: ماهية النحو لغة

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي –قدس الله سره –في معجمه "العين" نحو:<< النّحو القصد نحو الشيء، نحوت نحوه أي: قصدت قصده، وبلغنا أن أبا الأسود وضع وجوه العربية، فقال للناس: أنحوا نحو هذا فسمي نحوا، ويجمع على الأنحاء>>[1] قال:

والكلام وجوه في تصرفه  والنحو فيه لأهل الرأي أنحاء

<<وورد في معجم لسان العرب لابن منظور: مادة نحا: الأزهري ثبت عن أهل يونان، فيما يذكر المترجمون العارفون بلسانهم ولغتهم أنهم يسمون علم الألفاظ والعناية بالبحث عنه نحو، ويقولون كان فلان من النحويين، ولذلك سمي يوحنا الإسكندارني يحيى النحوي الذي حصل له من المعرفة بلغة اليونانين والنحو إعراب كلام العرب، والنحو: القصد والطريق، يكون ظرفا ويكون اسما، نحاه وينحوه وينحاه نحوا وانحاه، ونحو العربية منه إنما هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، أو إن شذ بعضهم عنها رد به إليها، وهو في الأصل مصدر شائع أي نحو، كقولك قصدت قصدا، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم، كما أن الفقه في الأصل مصدر فقهت الشيء؛ أي عرفته>>[2]

وقد خصّ به علم الشريعة من تحليل وتحريم، وكما أن بيت الله – عز وجل – خصّ به الكعبة، وإن كانت البيوت كلها لله – عز وجل، قال ابن سيده: وله نظائر في قصر ما كان شائعا في جنسه على أحد أنواعه، وقد استعملته العرب بطرق، وأصله المصدر، وأنشد أبو الحسن:

ترمي الأما غير بمجمرات  بأرجل روح مجنبات

[1]– معجم العين، باب الثلاثي المعتل، باب الحاء والنون، ج3، ص302.

[2]– لسان العرب، فصل النون، ج15، ص310/309.

يحدو بها كل فتى هيات ومن نحو البيت عامدات

والجمع أنحاء ونحُو، قال سيبويه: شبهوها بعتو، وهذا قليل، وفي بعض كلام العرب: إنكم لتنظرون في نحو كثيرة؛ أي في ضروب من النحو، شبهها بعتو، والوجه في مثل هذه الواوات إذا جاءت في جمع الياء كقولهم في جمع ثدي وثدَي وعصي وحفي.

الجوهري قال: نحوت نحوك أي قصدت قصدك، التهذيب.

وبلغنا أن أبا الأسود الدؤلي وضع وجوه العربية وقال للناس انحوا نحوه، فسمي نحوا.

وقال ابن السكيت: نحا نحوه إذا قصده، ونحا الشيء ينحاه وينحوه، إذا حرفه، ومنه سمي النحوي لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب.

ابن برزج: نحوت الشيء وأنحوه وأنحاه، ونحت الشيء ونحوته وأنشد،

فلم يبق إلا أن ترى في محله رمادا نحت عنه السيول جنادله

ورجل ناح من قوم نحاه نحوي، وكأن هذا إنما هو على النسب كقولك تامر ولابن، الليث النحو القصد نحو الشيء[1].

وذكر صاحب مقاييس اللغة أن مادة نحو: <<النون والحاء والواو كلمة تدل على قصد، ونحوت نحوه، ولذلك سمي نحو الكلام أنه يقصد أصول الكلام، فيتكلم على حسب ما كان العرب تتكلم به، ويقال: إن بني نحو، قوم من العرب وأما {أهل} النحاة فقد قيل: القوم البعداء غير الأقارب فلان لفلان، قصده وعرض له>>[2]

[1]– لسان العرب، ابن منظور، فصل النون، ج15، ص310.

[2]–معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م، ج5، باب النون والحاء (نحو)، ص403.

قد عرفنا معنى النحو لغة؛ أي القصد والجهة والطريق والمثل وغير ذلك، ونكتفي بما يكشف اللثام عن المعنى من النحو، ولمن أراد اطلاعا واسعا فدونه معجم جمهرة اللغة لابن دريد، وتاج اللغة، وصحاح العربية للجوهري، والخصائص لابن جني.

**المطلب الثاني: ماهية النحو اصطلاحا**

قال اين السراج النحوي: النحو إنما أريد به أن ينحو المتكلم إذا تعلمه كلام العرب، وهو علم استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب؛ حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة، فباستقراء كلام العرب (كلامهم)، فاعلم أن الفاعل رفع والمفعول به نصب، وأن فعل ما عينه ياء أو واو تقلب عينه، ويقصد من قوله: قام وباع.

كما ورد تعريف آخر للعلامة ابن جني – قدس الله سره – فقال: «في باب القول على النحو: هو انتحاء سمت كلام العرب، وتصرُفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب، وغير ذلك؛ ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها، وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها رد به إليها. وهو في الأصل مصدر شائع أي نحو نحوا؛ كقولك: قصدت قصدا، ثم خصّ به انتحاء هذا القبيل من العلم، كما أن الفقه في الأصل مصدر فقهت الشيء؛ أي عرفته، ثم خصّ به علم الشريعة من التحليل والتحريم، وكما أن بيت الله خص به الكعبة، وإن كانت البيوت كلها لله، وله نظائر في قصر ما كان شائعا في جنسه على أحد أنواعه، وقد استعملته العرب ظرفا وأصله المصدر»[1].

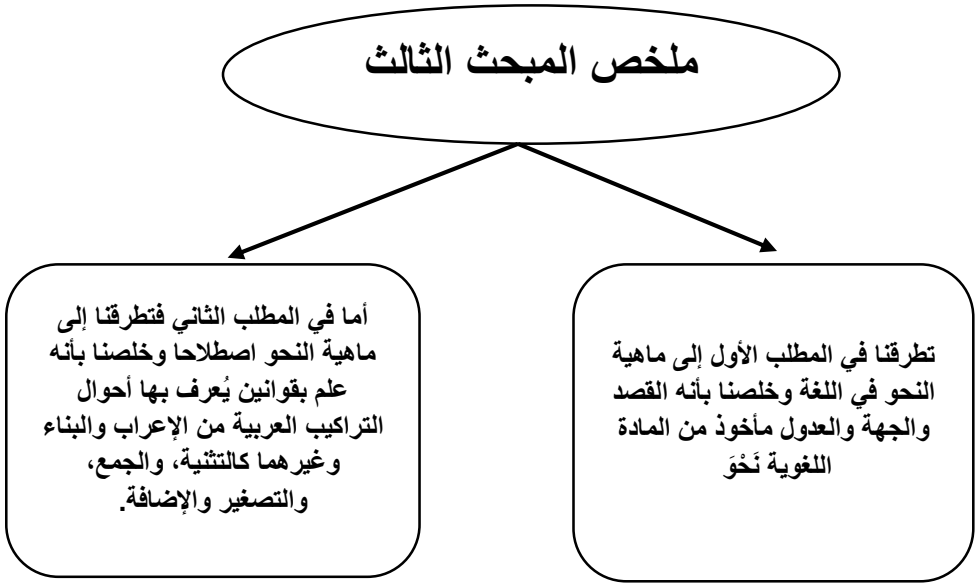
وقال أيضا ابن الأثير في كتابه "البديع في علم العربية": إن النحو: «هو القصد، نُقِل عَلَمًا لهذا العلم المُشار إليه، وهو معرفة أوضاع كلام العرب، ذاتا وحكما، واصطلاح ألفاظهم

[1]–الأصول في النحو، ابن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسه الرسالة، لبنان، بيروت، ج1، ص35.

حدًّا ورسما، وطريقة الوضع والنقل، أدلته النص والقياس، وفائدته: تقويم اللسان، وحكمته تغيير المعاني بأحكام مباني الألفاظ>>[1].

وقال سيدنا الجرجانيّ – رضي الله عنه – في كتابه "التعريفات" باب النون مع الحاء:<<أن النحو هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التركيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما، وقيل النحو: علم يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال، وقيل: علم بأصول يعرف بها صحة الكلام وفاسده>>.[2]

وحاصل التعريفات التي أوردناها فيما سبق نخلص إلى أن التعريف اللغوي مستنبط من التعريف الاصطلاحي وعليه تجمع بينهما علاقة تكامل فالنحو هو القصد والجهة وسمي النحو نحوا لأنه عبارة عن قوانين سنها النحاة لتضبط وتقوم اللسان العربي وفق وجهته الصحيحة أي التكلم وفق ما تكلم به العرب طبقا للقواعد النحوية المعروفة.




[1]–البديع في علم النحو، ابن الجزري ابن الأثير، تح: فتحي أحمد علي الثرى، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط1، ج1، ص7.

[2]–معجم التعريفات، الشريف الجرجاني، تح: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، مطبعة مصطفى الباي، 1357هـ، القاهرة، مصر، ص202.

**المبحث الرابع: ماهية البلاغة لغة**

ورد في أساس البلاغة أن:<< مادة بلغ تعني أبلغْهُ سلامي وبلغه وبلغتُ ببلاغ الله بتبليغه. قال الكُمَيت:

فهل تُبَلغنيهم على نأي دارهم نعم ببلاغ وَجنَاء دعْلبُ

وبلغ في العلم المبالغ، وبلغ الصرح، وبلغ الله به فهو مبلوغ به، وبلغ مني ما قلت، وبلغ منه البُلْغين والبَلغين، وأبلغت إلى فلان، فعلت به ما بلغ به الأذى والمكروه البليغ، واللهم سميعا بليغا، وتبالغ فيه المرض والهم إذ تناهى، وتبلغ بالقليل، وماهي إلا بلغة أبلغ بها، وتبلغت به العلة: اشتدت، وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ، وهذا قول بليغ، وتبالغ في كلامه تعاطى البلاغة وليس من أهلها، وما هو بليغ ولكن يتبالغ(...)>>[1].

كما ورد في لسان العرب لابن منظور أن معنى البلاغة في اللغة:<حبلغ الشيء، يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى، وأبلغه هو بلاغا، وبلغه تبليغا، وقول أبي قيس بن المثلث السلمي:

قالت ولم تقصد لقول الخنا مهلا فقد أبلغت أسماعي

إنما هو من ذلك أي قد انتهت فيه وأنعمت، وبلغ بالشيء: وصل إلى مراده، وبلغ مبلغ فلان ومبلغته، وفي حديث الاستسقاء: واجعل لنا ما أنزلت قوة وبلاغا إلى عين؛ البلاغ: ما يُتبلغ به ويُتوصل إلى الشيء المطلوب، والبلاغ: ما بلغك، والبلاغ الكفاية، وبلغت الرسالة، والبلاغ: الإبلاغ، وفي التنزيل: ﴿ بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ﴾سورة الجن الآية23 >>.[2]

وقال صاحب الصحاح في مادة بلغ ما مضمونه: <حبلغت المكان بلوغا: وصلت إليه كذلك إذ شارفت عليه ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾سورة الطلاق الآية 02. أي قاربنه.

[1]–أساس البلاغة، الزمخشري، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1967م، د. ط، د. ت، حرف الباء، ص50/49.

[2]– لسان العرب، مادة بلغ، ج8، ص419.

وبلغ الغلام: أدرك. والإبلاغ: الايصال، وكذلك التبليغ، والاسم منه بُلاغ، والبُلاغ أيضا الكفاية، ومنه قول الراجز: "تزج من دنياك بالبلاغ "، وبلغت الرسالة، وبلغ الفارس أي مد يده بعنان فرسه ليزيد في جريه، وشيء بالغ أي جيد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾ سورة الطلاق الآية03.

قال الفرّاء: يقال اللهم سمعٌ لا بلغٌ، وسمعٌ لا بلغٌ، معناه يُسْمَعُ به ولا يتم {وقد سبق مثل هذا المعنى عند الزمخشري رضي الله عنه وغفر له}. (...) والبلاغة الفصاحة وبلُغَ الرجل بالضم، أي صار بالغا.

والبُلْغنُ: الداهية وفي الحديث أن عائشة – رضي الله عنها – قالت لعلي – رضي الله عنه – حين أُخذت: «حبَلَغْت منّا البُلغينَ»[1].

وورد في معجم الوسيط معنى البلاغة في اللغة ما يلي: «(بلغ) الشجر بلوغا وبلاغا: حان إدراك ثمره، والغلام: أدرك والأمر وصل إلى غايته، ومنه حكمة بالغة، والشيء بلوغا: وصل إليه وأوصله إليه، بالغ فيه مبالغة، وبلاغا، اجتهد فيه واستقصى، البلاغة حسن البيان وقوة التأثير».[2]

وقال صاحب مقاييس اللغة في مادة بلغ:« أن الباء واللام والعين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء. إذا وصلت إليه. وقد تسمى المشارفة بلوغا حق المقاربة، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۖ ﴾سورة الطلاق الآية02. ومن هذا الباب قولهم: هو أحمق بلْغٌ وبْلغٌ، أي إنه مع حماقته يبلغ ما يريده، والبلغة ما تبلغ به من عيش،

[1]– الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور وعطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1085، ط1، ج4، باب العين فصل الباء، ص1316.

[2]–المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القارة، إبراهيم مصطفى أحمد، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، 1431، ج1، باب الباء، ص70/69.

كأنه يراد إنه يبلُغُ رتبة المكثر إذا رضي وقنع، وكذلك البلاغة التي يمدح بها الفصيح اللسان، لأنه يبلغ بها ما يوده، ولي في هذا بلاغ أي كفاية(...)>>.[1]

ومن خلال التعاريف التي تناولناها تبين لنا أن البلاغة لغة هي الوصول والانتهاء وبلوغ القصد، وللاطلاع أكثر، وحبّ التوسع نضع بين يدي الباحث بعضًا من المراجع والمصادر التي تروي ظمأه، وتطفي لوعته:

1-مختار الصحاح للرازي، تح: يوسف اشيخ محمد، ص39.

2-لسان العرب ابن منظور.

3-جواهر البلاغة في المعاني والبديع، لأحمد الهاشمي.

4-البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، لعلي الجارم، ومصطفى أمين.

**المطلب الرابع: ماهية البلاغة اصطلاحا**

قال صاحب الإيضاح – رضي الله عنه: «وأمّا بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة[2]، فبمقام التنكير يباين مقام التعريف[3]، ومقام الإطلاق يباين]مقام التقييد[4]، ومقام التقديم يباين مقام التأخير[5]، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذلك خطاب الذكي يباين خطاب

[1]– معجم مقاييس اللغة، القزويني، باب الباء واللام وما يليهما في الثلاثي، ج:1 ص302/301.

[2]–لأن الاعتبار اللائق بمقام ما يغير الاعتبار اللائق بمقام آخر.

[3]–فالمقام الذي يناسبه تنكير المسند إليه أو المسند البياني المقام الذي يناسب التعريف.

[4]–أي مقام إطلاق الحكم أو التطبيق أو المسند إليه أو المسند أو متعلق بياني مقام تقييد بمواد أو أداة أو تابع أو شرط أو مفعول وإلى ما ذلك.

[5]–أي مقام تقديم المسند إليه أو متلقات بياني مقام تأخيره، وللزيادة أو التفصيل ينظر للإيضاح في علوم البلاغة، ج1، ص45/44/43/42.

الغبي، وكذا كل كلمة مع صاحبتها (...)، وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقته له، فمقتضى الحال الاعتبار المناسب>>[1].

وقال ابن حبنكة الميداني في كتاب "البلاغة العربية" أنّ بلاغة الكلام في الاصطلاح: <<هي مطابقة الكلام لمقتضى حال من يُخاطَب به مع فصاحة مفرداته وجمله.

ويشترط في الكلام البليغ شرطان:

الشرط الأول: أن يكون فصيح المفردات والجمل.

الشرط الثاني: أن يكون مطابقا لمقتضى حال من يُخَاطب به.

ولما كانت أحوال المخاطبين مختلفة، وكانت كل حالة منها تحتاج إلى طريقة من الكلام تلائمه، كانت البلاغة في الكلام تستدعي انتقاء الطريقة الأكثر ملاءمة لحالة المخاطب لبلوغ الكلام من نفسه مبلغ التأثير الأمثل المرجو.

أما الأحوال التي تستدعي اختلافا في طرائق الكلام وأساليبه فتكاد لا تحصر.

- فمنها ما يستدعي من الكلام إيجازا.
- ومنها ما يستدعي من الكلام بسطا متوسطا.
- ومنها ما يستدعي من الكلام بسطا مطولا.
- ومنها ما يستدعي خطبا بصورة مباشرة.
- ومنها ما يستدعي خطبا بصورة غير مباشرة.
- ومنها ما يستدعي تنكيرا أو تعريفا.
- ومنها ما يستدعي إطلاقا أو تقيدا.
- ومنها ما يستدعي ذكرا أو حذفا.
- ومنها ما يستدعي وصلا بحرف العطف أو يستدعي فصلا.

[1]–الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، دمشق، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجبل، بيروت، ط3، ج1، ص41/42/43.

- وخطاب الذكي يخالف خطاب الغبي.
- وحال الوعظ يستدعي خطابا غير حال البيان العلمي.
- وحال الدعاء والتماس المطلوب يستدعي خطابا غير حال التكليف من ذي سلطان.
- وخطاب أهل العلم والمعرفة يخالف خطاب الذين لا علم لديهم.
- وخطاب الملوك والرؤساء يخالف خطاب العامة.
- وخطاب أهل الحضر يخالف خطاب أهل البدو والعدو.
- ولكل أهل صنعة خطاب يلائم صناعتهم.
- إلى غير ذلك من أصناف المخاطبين وأحوالهم النفسية والاجتماعية، وأحوال المتكلم وظروف الكلام واختيار الأسلوب من الكلام الملائم للمخاطب أو الأكثر سلامة يحتاج فطنة عالية، وذكاء حادا وخبرات كثيرات بخطاب الناس.

وكلما كان الكلام مع فصاحة مفرداته وجمله أكثر مطابقة لحال المُخاطب وتأثيرا في نفسه، كان أعلى حسنة وأرفع منزلة في مراتب البلاغة ودرجاتها وتتنازل الدرجات وتنحط بمقدار بُعد الكلام عن مطابقة مقتضى حال المخاطب وتأثيره في نفسه>>.[1]

والكلام البليغ حدٌ أعلى رفيع، وهو حدُ الإعجاز، وما يقرب منه. وله حدٌ أسفل منحطٌ إذا نزل عنه درجة واحدة التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات.

وبين الحد الأعلى والحد الأسفل مراتب ودرجات كثيرات يتعذر على الناس إحصاؤها.

وما يمكن استنتاجه من خلال التعاريف التي أوردناها سلفا عن معنى البلاغة أن معنى البلاغة في اللغة تربطه علاقة تكامل بمعنى البلاغة في الاصطلاح، فقد عني بالبلاغة في اللغة البلوغ إلى الغاية وبلوغ القصد وكذا هو الحال في المعنى الاصطلاحي الذي يعنى به بلوغ المتكلم في كلامه طبقا لما يقتضيه حال السامع مع فصاحته.

[1]–البلاغة العربية، عبد الرحمان بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1991م، ج1، ص30/29.

**بلاغة المتكلم في الاصطلاح:**

«هي مَلَكة أي صفة ثابتة مستقرة في ذات المتكلم يستطيع بها تأليف كلام بليغ.

ولما كان كل كلام بليغ لا بد أن يكون فصيح المفردات والجمل كان كل كلام بليغ كلاما فصيحا، وكان كل متكلم بليغ متكلما فصيحا.

لكن قد يكون الكلام فصيحا ولا يكون بليغا، لأن الفصاحة أعم، والبلاغة أخص دائما، فكل بليغ فصيح، كلاما أو متكلما، وليس كل فصيح بليغا، فالكلام الفصيح لا يكون كلاما بليغا حتى يكون مطابقا لمقتضى حال المخاطب»[1]

وأورد الشيخ محمد محمد أبو موسى في كتابه "خصائص التراكيب" دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني تعريفا وتدقيقا للبلاغة، شرّح فيه المصطلح تشريحا، وبينه تبيينا؛ حيث يرفع الوهم ويزيل الجهل عن الباحث الشغوف فقال:«وتقع البلاغة وصفا للكلام والمتكلم، فبلاغة الكلام أن يكون مطابقا لمقتضى الحال مع فصاحته، أي أن يكون التعبير فيه خصائص في الصياغة وأوضاع في التراكيب، تدل هذه الخصائص وهذه الأوضاع على معان يكون بها الكلام وافيا ومطابقا لما يتطلبه موقف الداعي»[2]

«فحين يكون المقام داعيا إلى التنويه برجل تتحدث عنه، أي حين تنفعل نفسك بمآثره وأخلاقه تقول: هو الرجل، فتذكره معرفا بهذه الأداة التي تكسبه في سياق العناية به وصف الرجولة الصادقة والكاملة، وكأنك توهم أن الرجولة بكل أوصافها، تتحقق فيه ويشتهر بها، حينئذ تقول: إن التعريف جاء مطابقا لمقتضى الحال أي مقتضى المقام لأن المقام يطلب التنويه، والإسناد لما هتفت دواعي النفس بذلك، فوقع الكلام وفيه خصوصية تعنى على إفادة هذا المعنى، ومثال ذلك قد تجد الطريق وقد ملأه الناس سائرين فيه، فيقع في نفسك أن هذا الطريق وكأنه هو الذي يسير، فلا تقول سار الناس في الطريق وإنما تقول: سار

[1]–مرجع سابق، ص131.

[2]–خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط7، ص71.

بهم الطريق، والتعبير الثاني أكثر ملاءمة لحالة نفسك التي أحسست أو خيل لها أن الطريق تسير، لا أريد لك أن تكذب في التعبير، وأن تدعي أنك تحس هذا، وإنما أقول لك عندما تحس أن الطريق يمور ويتحرك يكون قولك: سار بهم الطريق، مطابقا لما يتطلبه حال نفس الداعي إلى الوصف الصادق، وإذا قلت سار الناس في الطريق لا تكون العبارة مُستوفية لإحساسك بكثرة السير حتى كأن كل بقعة في الطريق عليها إنسان يسير، والعبارة إذن ليست مطابقة لمقتضى الحال، وعكس هذا إن كنت لم تحس هذا الإحساس وإنما رأيت ناسا يسيرون، ولم يقع في نفسك شيء وراء ذلك يكون من الكذب في الوصف أن تقول: سار الناس في الطريق، تصف وصفا تقريريا لا عاطفة فيه، لأن الذي رأيته ليس له بعد وراء هذا. والذي أريد أن أقرره أن المطابقة تعني أولا المطابقة لحال النفس والشعور، ولذلك يكون التهويل والكذب على النفس مخالفا للمطابقة، وخارجا عن حد البلاغة، المطابقة إذن تعني الصدق والوفاء بما في النفس أو كما قال العلوي: أن تصل عبارتك منه ما في قلبك>>.[1]

والحال عند البلاغيين هو الأمر الذي يدعو المتكلم إلى أن يعتبر في كلامه خصوصية ما، أي هو ذلك الداعي الذي يقف بالفطرة الصادقة إلى أن تجري صياغة العبارة على طريق دون آخر، فالخنساء لما استعر في ضميرها الحزن الكارب على موت صخر قالت: [من البسيط]

فَما عَجولٌ عَلى بَوٍّ تُطيفُ بِهِ  لَها حَنينانِ إِعلانٌ وَإِسرار.ُ

تَرتَعُ ما رَتَعَت حَتّى إِذا اِدَّكَرَت  فَإِنَّما هِيَ إِقبالٌ وَإِدبارُ

يَوماً بِأَوجَدَ مِنّي يَومَ فارَقَني  صَخرٌ وَلِلدَهرِ إِحلاءٌ وَإِمرارُ[2]

[1]–مرجع سابق، ص72/71.

[2]-وجدنا في رواية أخرى ونحن نضبط الأبيات بالشكل وتقول الخنساء فيه:

وَما عَجولٌ عَلى بَوٍّ تُطيفُ بِهِ  لَها حَنينانِ إِعلانٌ وَإِسرارُ

تَرتَعُ ما رَتَعَت حَتّى إِذا اِدَّكَرَت  فَإِنَّما هِيَ إِقبالٌ وَإِدبارُ

السليقة البيانية ألهمت الخنساء هذه الخصوصيات في أداء تجربتها الحزينة، فأسكنت حزنها على هذه الصورة الماثلة في الناقة التي فقدت ولدها، ثم خدعت فصنع لها ولد من جلد، فأخذت تطوف حوله في حنين دافق يعلو ويهبط، وهناك تتوقف يحاوبنها التحنان فيشجيها ذلك الترجيع فتحمي وتندفع، وإذا غفلت هذه الناقة قليلا رعت، فإذا ما تذكرت حرّكها الحزن حركة طائفة لفرط هذه الحركة، وكأنها الإقبال والإدبار.

لم تقل الخنساء فهي مقبلة مدبرة، لأنها أرادت التوكيد وبيان فرط الحركة، ودعاها المقام إلى هذه الصورة، كما دعاها إلى هذه الخصائص.[1]

فأخبرت عنها بالإقبال والإدبار لتصف إحساسها بالناقة وأنها صارت إقبالا وإدبارا، وكذلك قالت: إنما هي إقبال وإدبار، ولم تقل فما هي إلا إقبال وإدبار لتومئ إلى أن صيرورتها إقبالا وإدبارا عندها أمر واضح لا إنكار فيه، وتنكير يوما في قولها:

"أودى به الدهر يوما" ولأنها أرادت يوما حزينا مليئا بالهم والغم فهو نوع خاص من أنواع الأيام ينكره حسها.

إذن الحال في المعاناة التي عانتها الخنساء، هو الذي ألهمها هذه الخصائص التي صاغت فيها معانتها لتكون تلك الصياغة مطابقة.

والحال في الأمثلة السابقة هو الذي دعاك على التعريف في الرجل، وأن تقول هو الرجل بدل هو رجل، وهو الذي دعاك لأن تقول سار بهم الطريق بدل ساروا في الطريق، وأما مقتضى الحال، فهو الأمر الذي يقتضيه الحال كالتعريف، والتنكير أو التقديم أو التجوز في النسبة أو الحذف هذه لمقتضى الحال هو ما ترد عليه العبارة كالتعريف الوارد في قولك: هو الرجل، والتنكير في قولها: يوما، والتجوز في قولها: هي إقبال أي هو واحد من آحاد التعريف جاء عليه الكلام، أو واحد من آحاد التنكير إلى آخره، وهذه فروق دقيقة.

---

لا تَسمَنُ الدَهرَ في أَرضٍ وَإِن رَتَعَت فَإِنَّما هِيَ تَحنانٌ وَتَسجارُ

وماً بِأَوجَدَ مِنّي يَومَ فارَقَني صَخرٌ وَلِلدَهرِ إِحلاءٌ وَإِمرارُ

[1]– مرجع سابق، خصائص التراكيب، ص73/72.

قال الخطيب: ومقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين التعريف إلى قوله: وكذا كلّ كلمة مع صاحبتها مقام، وقد سبق معنا هذا التعريف للخطيب القزويني مع شرحه.

والكلام الذي تتوفر فيه الخصائص المشيرة إلى ألوان المعاني هو الكلام الجيد الممتاز، وترتفع منزلته وتنخفض تبعا لهذه الحالة فكلما كان الكلام بخصائص تراكيبه أكثر شمولا، واستيعابا للفكر والشعور كان أعلى.[1]

وواضح أن كثرة الخصوصيات التي هي من عوامل ارتفاع شأن الكلام والحكم عليه بالجودة هي الخصوصيات التي وراءها رصيد من الأفكار والمعاني.

أما بلاغة المتكلم فهي مقدرته أو موهبته التي يستطيع بها أن يعبر تعبيرا بليغا، أي يبلغ مواطن الحس، والشعور من النّفس المُتلقية.

وقد تقسمت مباحث البلاغة في ثلاثة أقسام أو ثلاثة علوم، فهناك بحوث تعنى بالصياغة وأحوالها وموقع الكلمة والمفردة فتبحث التعريف، والتنكير، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر والقصر والفصل والوصل وغير ذلك مما له صلة بأحوال التراكيب، وهذه البحوث سمّاها البلاغيون علم المعاني.

وهناك بحوث تعنى بدراسة التصوير البياني الذي يستعين به الأديب البوح بما في نفسه، وإبرازه مثل التشبيه والمجاز والكناية وهذه البحوث يسميها البلاغيون علم البيان.

وهناك بحوث تعنى بما في النص من ألوان التحسين، ووجوه الصقل، فإن العرب أن تكون كلماتهم حلوة تتفتح لها النفوس، وتستجيب لها القلوب والضمائر، وذلك لحرصهم على أفكارهم ومعانيهم، وخواطرهم؛ فالعناية باللفظ عندهم فرع العناية بالمعنى.

يقول ابن جني –رحمه الله–<<فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها، ونقحوا حواشيها وهذبوها وصقلوا غريبها وأرهفوها، فلا ترين أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ بل

[1]– مرجع سابق، خصائص التراكيب، ص73/72.

هي عندنا خدمة منهم للمعاني، وتنويه بها وتشريف لها>>. والبحوث التي تعنى بألوان التزيين والتحسين كالسجع والجناس والطباق، والمقابلة بحوث سماها البلاغيون علم البديع.

فعلوم البلاغة ثلاثة هي: المعاني، البيان، والبديع.

وهناك مناقشات حول صواب هذا التقسيم وخطئه، وكذلك حول منشئه في تاريخ البلاغة، شغل هذا الكثير من المعاصرون، ولا نريد الخوض فيه، لأنه ليس مهما في سياقنا هذا.[1]

قال صاحب الصناعتين في الإبانة عن حد البلاغة: <<البلاغة كل ما تبلغ به قلب السامع فتمكنه في نفسه كما تمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن.

وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة، لأن الكلام إذا كانت عباراته رثة ومعرضه خلقا لم يُسَمّ بليغا، وإن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى.

ألا ترى إلى معنى الكاتب الذي كتب إلى بعض عامليه: قد تأخر الأمر فيما وعدت حمله صفوة النهار، والقوم غير مقيمين، وليس لهم صبري، وهم في الخروج آنفا، فإن رأيت في إزالة العلة مع الجهبذ[2]، فعلت إن شاء الله فمعناه مفهوم ومغزاه معلوم، وليس كلامه بليغ؛ فهذا يدل على أن من شرط البلاغة أن يكون المعنى مفهوما واللفظ مقبولا على ما قدمناه.

ومن قال: أن البلاغة إنما هي إفهام المعنى فقط، فقد جعل الفصاحة، واللكنة، والخطأ، والصواب والإغلاق، والإبانة سواء وأيضا فلو كان الكلام الواضح السهل، والقريب السلس الحلو بليغا وما يخالفه من الكلام المبهم المستغلق والمتلف المتعقد أيضا بليغا لكان كل ذلك محمودا وممدوحا مقبولا، لأن البلاغة اسم يندرج به الكلام.

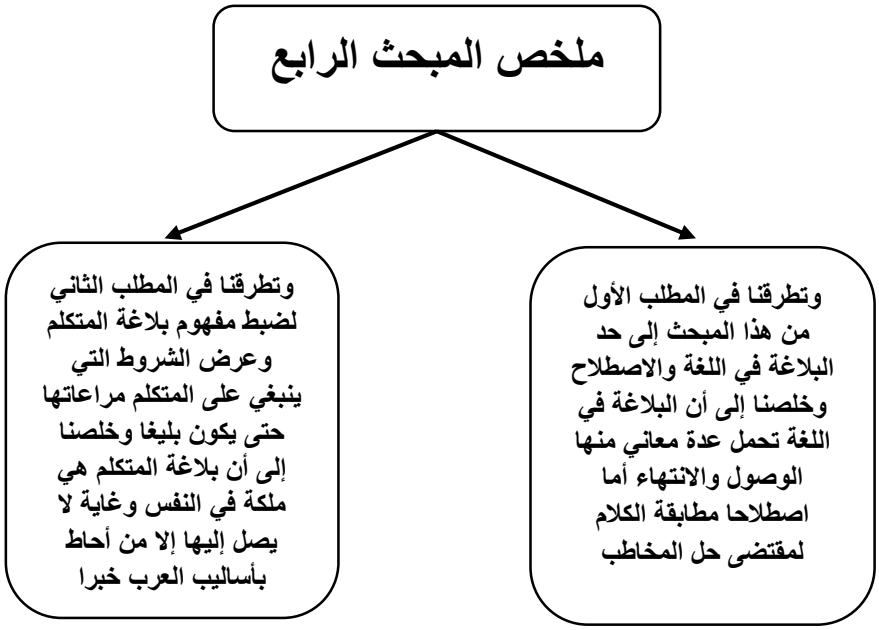
فلما رأينا أحدهما مستحسنا والآخر مستهجنا علمنا أن الذي يستحسن البليغ، والذي يستهجن ليس بليغ.

[1]–مرجع سابق، خصائص التراكيب، ص74/73.

[2]– الجهبذ: النقّاد الخبير.

وقال العبادي: كل من أفهمك حاجته فهو بليغ وإنما عني إن أفهمك حاجته بالألفاظ الحسنة والعبارة النيرة فهو بليغ.[1]

وقال الإمام الرازي في نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز ما مضمونه من: أن البلاغة هي بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الإيجاز المخل والإطالة المملة.[2]




[1]– كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، د ط، د تح، د د، ص11/10.

[2]– نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز، الإمام فخر الدين بن محمد بن عمرو بن الحسين الرازي، تح: نصر الله حاجي مغني أوغلى، دار صادر، بيروت، ط1، 2004، ص3.

# الفصل الثاني:

## النكت النحوية والبلاغية
## مختارات من النصف الأول من القرآن

**تمهيد:**

سننتقل من الجزء النظري إلى الجزء التطبيقي كي نأخذ رشحات تقطر من فيض بحر اختلاف دلالات القراءات القرآنية، مقتصرين على نماذج من القرآن الكريم، وذلك لضيق الوقت وسيف القانون، فارتأينا أن نقسم الجزء التطبيقي لهذا البحث إلى أربعة أجزاء، كلّ جزء نكشف فيه عما يقارب من خمس آيات أو أكثر قليلا في النكت النحوية والبلاغية الناتجة من اختلاف القراءات القرآنية؛ حيث إنّ كل جزء سنتناول فيه ربعًا من القرآن ليكون الحاصل أربعة أرباع ابتداءً من فاتحة الكتاب، وانتهاءً إلى سورة الناس، والله وحده الموفق لا غيره.

## المبحث الأول: النكت النحوية والبلاغية نماذج من الربع الأول للقرآن الكريم

سنسعى في هذا المبحث إلى نقل وتوجيه الآيات التي ورد فيها الاختلاف في القراءة، ومعرفة ما هي الأوجه النحوية والبلاغية في تلك الاختلافات، مبتدئين بالربع الأول أي من فاتحة الكتاب[1] إلى سورة الأعراف، وهي ست سور (سورة الفاتحة، سورة البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام).

1/ فاتحة الكتاب ونكتها النحوية البلاغية في اختلاف القراءات.

يقول ابن عاشور – رضي الله عنه – ما نصّه في آية ملك يوم الدين:<< اتّباع الأوصاف الثلاثة المتقدمة بهذا ليس مجرد سرد صفات من صفاته تعالى، بل هو مما أثارته الأوصاف المتقدمة، فإنه لما وُصف تعالى بأنه رب العالمين الرحمن الرحيم، وكان ذلك مفيدا لما قدمناه من التنبيه على كمال رفقه تعالى بالمربوبين في سائر أكوانهم، ثم التنبيه بأن تصرفه تعالى في الأكوان تصرفَ رحمةٍ عند المعتبر، وكان من جملة تلك التعريفات التصرفات تصرفات الأمر والنهي المُعبر عنها بالتشريع الراجع إلى حفظ مصالح الناس عامة وخاصّة، وكان معظم تلك التشريعات مشتملا على إخراج المكلف عن داعية الهوى الذي يلائمه اتباعه، وفي نزعه عنه إرغام له ومشقة، خيف أن تكون تلك الأوصاف المتقدمة في فاتحة الكتاب مخفيا عن المكلفين عبء العصيان لما أمروا به ومثيرا في أطماعهم في العفو عن استخافتهم بذلك وأن يمتلكهم الطمع فيعتمدوا على ما عملوا من الربوبية والرحمة المؤكدة فلا يخشوا عائلة الإعراض عن التكاليف، لذلك كان من مقتضى المقام تعقيبه بذكر أنه صاحب الحكم في يوم الجزاء:﴿ ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ ﴾ [غافر: 17]. لأن الجزاء على الفعل سبب في الامتثال والاجتناب لحفظ مصالح العالم، وأحيط ذلك بالوعد والوعيد وجُعل مصداق ذلك الجزاء يوم القيامة، ولذلك اخترنا هنا وصف مَلِكِ أو مَالِكِ مضافا إلى يوم الدين، فأما ملكٌ فهو مُوذن بإقامية العدل وعدم الهوادة فيه؛ لأن شأن الملكِ

[1]– للاطلاع على أسماء سور الفاتحة، ينظر: في كتاب التحرير والتنوير، محمد طاهر بن عاشور، ج1، ص131.

أن يدبر صلاح الرعية ويذُب عنهم، ولذلك أقام الناس المُلوك عليهم. ولو قيل ربّ يوم الدين لكان فيه مطمع للمفسدين يجدون من شأن الرب رحمة وصفحا وأما مالِكٌ فمثل تلك في إشعاره بإقامة الجزاء على أوفق كيفياته بالأفعال المجزم عليها ... ثم إن في تعقيب قوله: ﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾سورة الفاتحة الآية 1-2. بقوله مَلِكِ يوم الدين إشارة إلى أنه ولي التصرف في الدنيا والآخرة فهو إذن تنعيم>>.

<<وقوله:(مَلِكِ) قرآه الجمهور بدون ألف بعد الميم وقرآه عاصم والكسائي ويعقوب وخلف(مَالِكِ) بالألف فالأول صفة مشبهة، وصارت اسما لصاحب المُلْكِ (بضم الميم)[1]

والثاني اسم فاعل من ملك إذ اتصف بالمَلِكِ، وكلاهما مشتق من مَلَك، فأصل مادة مَلَك ترجع تصاريفها إلى معنى الشدّ والضبط كما قاله خالد ابن عطية، ثم يتصرف ذلك بالحقيقة والمجاز، والتحقيق والاعتبار، وقراءة (مَلِكِ) بدون ألف تدل على تمثيل الهيئة في نفوس السامعين؛ لأن المَلِك بفتح الميم وكسر اللام هو ذو المُلك بضم الميم، والمُلْكُ أخصّ من المِلْكِ، إذ المُلك بضم الميم هو التصرف في الموجودات والاستيلاء ويختص بتدبير أمور العقلاء وسياسة جمهورهم وأفرادهم ومواطنهم، فلذلك يقال: ملك الناس ولا يقال: ملِكِ الدواب أو الدراهم، وأما المِلْكُ بكسر الميم فهو الاختصاص بالأشياء ومنافعها دون غيره.

وقرأ الجمهور(مَلِكِ) بفتح الميم وكسر اللام دون ألف ورويت هذه القراءة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وصاحبيه أبي بكر وعُمر في "كتاب الترمذي" قال ابن عطية: حكى أبو علي عن بعض القراء أن أول من قرأ (مَلِكِ يوم الدين) مروان بن الحكم فردّه أبو بكر ابن السراج بأن الأخبار الواردة تبطل ذلك، فلعلّ قائل ذلك أراد أنه أول من قرأ بها في بلدٍ مخصوص، وأما قراءة (مالك) بألف بعد الميم بوزن اسم الفاعل فهي قراءة عاصم والكسائي ويعقوب وخلف ورُويت عن عثمان وعلي وابن مسعود وأبي بن كعب في "كتابه" أنها قرأ بها النبي – صلى الله عليه وسلم – وصاحباه أيضا.

[1]– مرجع سابق، التحرير والتنوير، ج1، ص 175/174/173.

وكلتاهما صحيحة ثابتة كما هو شأن القراءات المتواترة كما تقدم في المقدمة السادسة[1].

وقد تصدى المفسرون والمحتجون للقراءات لبيان ما في كل من قراءة (ملك) بدون ألف وقراءة (مالك) بالألف من خصوصيات بحسب قصر النظر على مفهوم كلمة ملك، ومفهوم كلمة (مالك)، وغفلوا من إضافة الكلمة إلى يوم الدين، فأمّا والكلمة مضافة إلى يوم الدين فقد استويا في إفادة أنه المتصرف في شؤون ذلك اليوم، دون شبهة مشارك. ولا محيص عن اعتبار التوسع في إضافة (ملِكِ) أو (مَالك) إلى يوم بتأويل شؤون يوم الدين، على أن (مالك) لغة في (ملِكِ) ففي "القاموس" <<وكأميرٍ وكَتِفٍ وصاحبٍ ذو الملك>>[2].

بهذا نكون قد انتهينا من كلام العلّامة التحرير الطاهر بن عاشور، أفاض الله علينا من بركاته، وقد تعمدنا الإطالة في مقدمة "ملك يوم الدين" لنفاسة كلامه ولطافة نكته، ومن شاء أن يراجع كلامه في هذه الآية فليراجع "تفسير التحرير والتنوير"، الجزء الأول بداية من الصفحة 173. حتى الصفحة 177. والله الموفق.

وقال الأخفش: وأما قوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ فإنه يجر لأنه من صفة الله –عزو جل. وقد قرأها قوم(مَالِك) نصبَ على الدعاء، وذلك جائز، يجوز فيه النصب والجرّ، وقرأها قوم (ملْك) إلا أن المَلك اسم ليس بمشتق من فعل، نحو قولك: "ملْك وملوك"، وأمّا "المالك" فهو الفاعل تقول: مَلَك فهو مَالك مثل " قهر فهو قاهر"[3].

قال الزمخشري –رحمه الله: قُرئ ملك يوم الدين، ومالك، وملك بتخفيف اللّام، وقرأ أبو حنيفة –رضي الله عنه: على اختصاص الحمد به، وأنّه به حقيق. في قوله: الحمد لله دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء بما هو أهله.[4]

---

[1]–التحرير والتنوير، ج1، ص175.

[2]–المرجع نفسه ج1، ص177.

[3]–معاني القرآن، الأخفش الأوسط، مكتبة الخلفي، القاهرة، ط1، 1990، ج1، ص15.

[4]–الكشاف في حقائق وغوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، ج1، ص13.

يقول صاحب المحيط –رضي الله عنه: قرأ مالك على وزن فاعل بالخفض عاصم والكسائي وخلف في اختياره، ويعقوب، وهي قراءة العشرة إلا طلحةَ وزبير، وقراءة كثير من الصحابة منهم: أبي، وابن مسعود، ومعاذ، وابن عباس، ومن التابعين منهم: قتادة، والأعمش، وقرأ ملِك على وزن فعِل بالخفض باقي السبعة، وزيد، وابن الدرداء، وابن عمرو المسور وكثير من الصحابة والتابعين، وقرأ مَلْك على وزن سهْل أبو هريرة، وعاصم، ورواها الجعفي وعبد الوارث عن أبي عمرو هي لغة بكر بن وائل.

وقرأ مكيّ بإشباع كسرة الكاف أحمد بن صالح عن ورش عن نافع، وقرأ مِلْكِ على وزن عِجْلِ أبو عثمان النهدي، والشعبي، وعطية، ونسبها ابن عطية، إلى أبي حيوة.

وقال صاحب اللوامح (الرازي): قرأ أنس بن مالك وأبو نوفل عمرو بن مسلم بن أبي عدي مَلِكِ يوم الدين، بتعجب الكاف.[1] من غير ألف، وجاء كذلك عن أبي حيان انتهى وقرأ كذلك إلا أنه رفع الكاف سعد بن أبي وقاص، وعائشة ومورق العجلي، وقرأ مَلك فعلا ماضيا أبو حيان وأبو حنيفة، وجُبير بن مطعم، وأبو عاصم عبيد بن عمير الليثي، وأبو المحثر عاصم بن ميمون، فينصبون اليوم، وذكر ابن عطية أن هذه قراءة يحيى بن يعمر، والحسن وعلي بن أبي طالب، وقرأ مالك بنصب الكاف الأعمش وابن السميفع وعثمان بن أبي سليمان، وعبد المالك قاضي الهند، وذكر ابن عطية أنها قراءة عمرو بن عبد العزيز، وأبي صالح السمان، وأبي عبد المالك الشامي، وروي ابن أبي عاصم عن اليمان ملكا بالنصب والتنوين وقرأ مالك برفع الكاف والتنوين عون العقيلي ورويت عن خلف بن هشام وأبي عبيد وأبي حاتم وبنصب اليوم، وقرأ مالك يوم بالرفع والإضافة ، وأبو هريرة، وأبو حياة، وعمرو بن عبد العزيز بخلاف عنه ونسبها صاحب اللوامح إلى أبي روح عون بن شداد العقيلي ساكن البصرة، وقرأ "مليك" على وزن فعِيل أبي، وأبو هريرة، وأبو رجاء العطاردي، وقرأ مالِك بالإمالة البليغة يحي بن يعمر، وأيوب السختياني، وبين بين قتيبة بن مهران عن الكسائي

[1]–البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف، بن علي بن يوسف، بن حيان، دار الفكر بيروت، ط2، ج1، ص 36.

وجهِل النقل أعني في قراءة الإمالة أبو علي الفارسي فقال: لم يُمل أحد من القراء ألف مالك، وذلك جائز، إلا أنه لا يقرأ بما يجوز إلا أن يأتي بذلك أثر مستفيض، وذكر أنه قرئ في الشاذ ملاّك بالألف والتشديد للام وكسر الكاف. فهذه ثلاث عشرة قراءة، بعضها راجع إلى المَلْك، وبعضها إلى المِلْك. قال اللغويون: وهما راجعان إلى المَلْكِ وهو الربط، ومنه ملك العجين.[1]

«قال قيس بن عطية:

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا  يَرَى قَائِمًا مِنْ خَلْفِهَا مَا وَرَاءَهَا

والعلامة أبو حيان –رضي الله –عنه ذكر أوجه القراءات في آية "ملك يوم الدين" مع ذكر القرّاء الذين قرؤوا بروايات وأوجهٍ مختلفة وذكر المتواتر والشاذ، ثم عرج حديثه بذكر لطائف تعدد الأوجه نحويا وصرفيا وبلاغيا فقال:

والأملاك ربط عقد النكاح، ومن ملح هذه المادة أن جميع تقاليبها الستة مستعملة في اللسان، وكلها راجع إلى معنى القوة والشدة، فبينها كلها قدر مشترك، وهذا يسمى بالاشتقاق الأكبر، ولم يذهب إليه غير أبي الفتح، وكان أبو علي الفارسي يأنس به في بعض المواضع، وتلك التقاليب: ملك، مكل، لمك، لكم، كمل، كلم»[2].

«وزعم الفخر الرازي أن تقليب لمك مهمل، وليس بصحيح، بل هو مستعمل بدليل ما أنشد الفرّاء من قول الشاعر:

فلما رآني قد حممت ارتحاله ***تلمّك لو يجدي عليه التلمّكُ

والملك هو القهر والتسليط على من تتأتى منه الطاعة، ويكون ذلك باستحقاق وبغير استحقاق، والملك هو القهر على من تتأتى منه الطاعة، ومن لا تتأتى منه، ويكون ذلك منه باستحقاق، فبينهما عموم وخصوص من وجه. وقال الأخفش: يقال ملك من الملك،

[1]– البحر المحيط، ابن حيان الأندلسي، ج1، ص37.

[2]- المرجع نفسه، ص37.

بضم الميم، ومالك من الملك، بكسر الميم وفتحها، وزعموا أنّ ضمّ الميم لغة في هذا المعنى>>[1].

<<وروي عن بعض البغداديين: لي في هذا الوادي ملك وملك بمعنى واحد. ومن قرأ بجر الكاف فعلى معنى الصفة، فإن كان بلفظ "ملِك" على "فَعِل" بكسر العين أو إسكانها، أو "مليك" بمعناه فظاهر؛ لأنه وصف معرفة بمعرفة، وإن كان بلفظ "مالك" أو "ملاك" أو "مليك" محولين من "مالك" للمبالغة بالمعرف، ويدلّ عليه قراءة من قرأ "ملك يوم الدين" فعلاً ماضياً، وإنْ كان بمعنى الاستقبال، وهو الظاهر؛ لأنّ اليوم لم يوجد فهو مشكل، لأن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال، فإنه تكون إضافته غير محضة، فلا يتعرف بالإضافة، وإن أضيف إلى معرفة فلا يكون إذ ذاك صفة، لأن المعرفة لا توصف بالنكرة ولا بدل نكرة من معرفة، لأن البدل بالصفات ضعيف. وحلّ هذا الإشكال هو أن اسم الفاعل إن كان بمعنى الحال أو الاستقبال، جاز فيه وجهان: أحدهما ما قدمناه من أنه لا يتعرف بما أضيف إليه، إذ يكون منوياً فيه الانفصال من الإضافة، ولأنه عمل النصب لفظاً. الثاني: أن يتعرف به إذا كان معرفة، فيلحظ فيه أن الموصوف صار معروفاً بهذا الوصف، وكان تقييده بالزمان غير معتبر، وهذا الوجه غريب النقل، لا يعرفه إلا من له اطلاع على كتاب سيبويه، وتنقيب عن لطائفه، قال سيبويه –رحمه الله تعالى –وزعم يونس والخليل أن الصفات المضافة؛ التي صارت صفة للنكرة، قد يجوز فيهنّ كلهنّ أنْ يكنّ معرفةً، وذلك معروف في كلام العرب. واستثني من ذلك باب "الصفة المشبهة" فقط، فإنه لا يتعرف بالإضافة نحو: "حسن الوجه". ومن رفع الكافَ ونوّن، أو لم ينون فعلى القطع إلى الرفع، ومن نصب فعلى القطع إلى النصب، أو على النداء، والقطع أغرب لتناسق الصفات؛ إذ لم يخرج بالقطع عنه>>[2].

<<ومن قرأ "مَلَكَ" فعلاً ماضياً، فجملة خبرية لا موضع لها من الإعراب، ومن أشبع كسرة الكاف فقد قرأ بنادر، أو بما ذكر أنه لا يجوز إلا في الشعر، وإضافة الملك أو الملك إلى

[1]- البحر المحيط، ج1، ص38.

[2]–المرجع نفسه، ج1، ص 38.

يوم الدين إنما هو من باب الاتساع، إذ متعلقهما غير اليوم. والإضافة على معنى اللام، لا على معنى في، خلافاً لمن أثبت الإضافة بمعنى في، ويبحث في تقرير هذا في النحو، وإذا كان من الملك كان من باب طباخ ساعات الكرى زاد الكسل.

وظاهر اللغة تغاير المَلِك والمَالِك كما تقدم، وقيل هما بمعنى واحد كالفره والفاره، فإذا قلنا بالتغاير فقيل: "مالك" أمدح لحسن إضافته إلى من لا تحسن إضافة الملك إليه، نحو مالك الجن والإنس، والملائكة والطير، فهو أوسع لشمول العقلاء وغيرهم، قال الشاعر:

سبحان من عنت الوجوه لوجهه *** ملك الملوك ومالك العفر

قال الأخفش ، ولا يقال هنا ملك ، ولقولهم مالك الشيء لمن يملكه، وقد يكون مَلِكاً لا مَالكاً نحو ملك العرب والعجم، قاله أبو حاتم، ولزيادته في البناء، والعرب تعظم بالزيادة في البناء، وللزيادة في أجزاء الثاني لزيادة الحروف، ولكثرة من عليها من القراء، ولتمكن التصرف ببيع وهبة وتمليك، ولإبقاء الملك في يد المالك، إذا تصرف بجور أو اعتداء أو سرف، ولتعينه في يوم القيامة، ولعدم قدرة الملوك على انتزاعه من الملك، ولكثرة رجائه في سيده بطلب ما يحتاج إليه، ولوجوب خدمته عليه، ولأن المالك يطمع فيه، والملك يطمع فيك، ولأن له رأفة ورحمة، والملك له هيبة وسياسة>>.[1]

<<وقيل "مَلك" أمدح وأليق، إن لم يوصف به الله تعالى؛ لإشعاره بالكثرة، ولتمدحه بمالك الملك، ولم يقل ملك الملك، ولتوافق الابتداء والاختتام في قوله ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾، والاختتام لا يكون إلا بأشرف الأسماء، ولدخول المالك تحت حكم الملك، ولوصفه نفسه بالملك في مواضع، ولعموم تصرفه فيمن حوته مملكته، وقصر المالك على ملكه، قاله أبو عبيدة، ولعدم احتياج الملك إلى الإضافة، أو مالك لا بد له من الإضافة إلى مملوك، ولكنه أعظم الناس، فكان أشرف من المالك.

[1]–مرجع سابق، البحر المحيط، أبو حيان، ج1، ص39/38.

قال أبو علي: حكى ابن السراج عمن اختار قراءة "ملك" كل شيء بقوله ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فقراءة مالك تقرير، قال أبو علي، ولا حجّة في هذا، لأن في التنزيل تقدم العام، ثم ذكر الخاصّ منه ﴿ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾، فالخالق يعم، وذكر المصور لما في ذلك من التنبيه على الصنعة ووجوه الحكمة، ومنه ﴿ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾، بعد قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ وإنما كرر تعظيماً لها، وتنبيهاً على وجوب اعتقادها، والرد على الكفرة الملحدين، ومنه ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، ذكر الرحمن الذي هو عام، وذكر الرحيم بعده لتخصيص الرحمة بالمؤمنين في قوله ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ انتهى. وقال ابن عطية: وأيضاً فإن الرب يتصرف في كلام العرب بمعنى الملك، كقوله:

ومِنْ قبلُ رّبيتنِي فَصَفَتْ رُبُوبُ>>[1]

وغير ذلك من الشواهد، فتنعكسُ الحجة على من قرأ "مَلَكَ".

‹‹والمراد باليوم الذي أضيف إليه مالك أو ملك زمان ممتد إلى أن ينقضي الحساب ويستقر أهل الجنة فيها، وأهل النار فيها، ومتعلق المضاف إليه في الحقيقة هو الأمر، كأنه قال مالك أو ملك الأمر في يوم الدين. لكنه لما كان اليوم ظرفاً للأمر، جاز أن يتسع فيتسلط عليه الملك أو المالك، لأن الاستيلاء على الظرف استيلاء على المظروف.

وفائدة تخصيص هذه الإضافة، وإن كان الله تعالى مالك الأزمنة كلها، والأمكنة ومن حلّها، والملك فيها التنبيه على عظم هذا اليوم؛ بما يقع فيه من الأمور العظام والأهوال الجسام من قيامهم فيه لله تعالى والاستشفاع لتعجيل الحساب والفصل بين المحسن والمسيء واستقرارهما فيما وعدهما الله تعالى به، أو على أنه يوم يرجع فيه إلى الله جميع ما ملكه لعباده وخوّلهم فيه ويزول فيه ملك كل مالك قال تعالى:﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾قال ابن السراج: إن معنى ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾

[1]-البحر المحيط، ابن حيان ص40.

إنه يملك مجيئه ووقوعه، فالإضافة إلى اليوم على قوله إضافة إلى المفعول به على الحقيقة، وليس طرفاً اتسع فيه، وما فسر به الدين من المعاني يصح إضافة اليوم إليه إلى معنى كل منها إلا الملة، قال ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، وابن جريج وغيرهم: يوم الدين يوم الجزاء على الأعمال والحساب>>[1].

قال أبو علي: <<ويدل على ذلك ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ﴾، ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وقال مجاهد: يوم الدين يوم الحساب مدينين محاسبين، وفي قوله:﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ دلالة على إثبات المعاد والحشر والحساب ولما اتصف تعالى بالرحمة، انبسط العبد وغلب عليه الرجاء، فنبه بصفة الملك أو المالك ليكون من عمله على وجل وأن لعمله يوماً تظهر له فيه ثمرته من خير وشر>>.[2]

وما يمكن قوله كتلخيص واستفادة مما سبق ملك: القراءة بـ "ملك" تشير إلى أن الله هو السيد الذي يمتلك السيادة الكاملة والقوة العظيمة. يعني أنه المالك الذي يمتلك كل شيء بملكه الكامل والمطلق.هذا المفهوم يبرز السيطرة الكاملة لله على كل شيء، ويعكس قدرته العظيمة في الحكم والقضاء بما يشاء.مالك: القراءة بـ "مالك" تعكس فكرة الملكية والامتياز في الامتلاك، حيث يكون الله صاحب السيادة التي تستند إلى ملكيته الكاملة والشاملة.

هذه القراءة تعزز فكرة أن كل شيء ينتمي إلى الله ولا يمكن لأحد المنافسة معه في الملكية الكاملة والنهائية.بالتالي، الاختلاف بين "ملك" و"مالك" يعطي تباينًا بلاغيًا ونحويًا متميزًا، حيث يعزز كل منهما من مفهوم السيادة والملكية الكاملة لله بطرق متعددة، مما يغني التأمل في معاني الآيات ويعمق الفهم الديني والروحي للنص القرآني

تعمدنا في بسط ما قاله سادتنا العلماء من نكت نحوية وبلاغية وتفسيرية في هذه الآية، ولما كان اهتمام العلماء والأولياء بفاتحة الكتاب، وذلك يظهر من خلال مؤلفاتهم

[1]- البحر المحيط، ابن حيان، ج1، ص40.

[2]– المرجع نفسه، ص 40.

كاشفين عن نفائس هذه السورة، ولا زال ورثة الأنبياء يكدون ويسعون راجين من الله كشف أسرارها، وبيان دررها، والوصول لبلاغتها عاجزين أمام الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم محاولين أخذ رشحات من فيض بحره، ولمعة من نور تجليه الأعظم، فقد شابهناهم ولو قليلا مما حاولوا فيه محيلين إلى مراجع ومصادر لتخمد نار الشوق في قلوب السالكين لمعرفة أسرار القرآن، ومما نراه من الكتب المفيدة في هذا الباب: "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى، و"لمسات بيانية في نصوص من التنزيل" لفاضل صالح السمرائي، و"إعراب القرآن وبيانه" للسيد درويش، واللباب لابن عادل الحنبلي، ودراسات أسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عظيمة، والبسيط للوحداني، وغيرها من المؤلفات التي صنفها أصحابها؛ لكشف اللثام، ورفع الغمام، عن الباحث والطالب النجيب المخلص اللبيب.

**سورة البقرة:**

وقد اخترنا الآية السادسة منها لقصرها وعدم استطراد معظم العلماء في شرحها، وكما أسلفنا الذكر: إنّ سيف الوقت والحد المسموح به في تحرير الفكرة يقتضي الإيجاز، وعلى الله قصد السبيل، والآية هي: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ والشاهد هو قول ربنا تبارك وتعالى ﴿غِشَٰوَةٌ﴾

والغشاوة الغطاء المغشي الساتر، ومنه قول النابغة: {البسيط}

هَلّا سَأَلتِ بَني ذُبيانَ ما حَسَبي **** إذا الدُخانُ تَغَشّى الأَشمَطَ البَرِما

وقال الحارث بن خالد المخزومي: [الطويل]

صَحِبتُكَ إِذ عَيني عَلَيها غِشاوَةٌ **** فَلَمّا اِنجَلَت قَطَّعتُ نَفسي أُلومُها

ورفع غشاوة على الابتداء وما قبله خبره.

«وقرأ عاصم فيما روى المفضل الضبّي عنه «غشاوة» بالنصب على تقدير: "وجعل" على أبصارهم غشاوة، والختم على هذا التقدير في القلوب والأسماع، والغشوة على الأبصار، والوقف على قوله وَعَلى "سَمْعِهِمْ". وقرأ الباقون «غشاوة» بالرفع.

قال أبو علي: «وقراءة الرفع أولى؛ لأنّ النصب إمّا أن تحمله على ختم الظاهر، فيعترض في ذلك أنك حلت بين حرف العطف والمعطوف به»، وهذا عندنا إنما يجوز في الشعر، وإمّا أنْ تحمله على فعل يدل عليه "خَتَمَ" تقديره»[1].

«"وجعل على أبصارهم"، فيجيء الكلام من باب: «متقلدا سيفا ورمحا»، وقولِ الآخر: [الرجز] علفتها تبنا وماء باردا

ولا تكاد تجد هذا الاستعمال في حال سعة واختيار. فقراءة الرفع أحسن، وتكون الواو عاطفة جملة على جملة»[2].

قال: «ولم أسمع من الغشاوة فعلا مصرفا بالواو، فإذا لم يوجد ذلك، وكان معناها معنى ما اللام منه الياء من غشي يغشى؛ بدلالة قولهم: "الغشيان" فالغشاوة من غشي كالجباوة من جبيت في أن الواو كأنها بدل من الياء، إذ لم يصرف منه فعل كما لم يصرف من الجباوة». وقال بعض المفسرين: الغشاوة على الأسماع والأبصار، والوقف في قوله عَلى قُلُوبِهِمْ[3]. وقال آخرون: «الختم في الجميع، والغشاوة هي الخاتم»[4].

---

[1]–المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام، عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422، ج1، 88.

[2]- المحرر الوجيز في تفسير كتاب العزيز، ص88.

[3]– أقول: إنّ علماءنا وضعوا هذا الوقف؛ كي يفهم المعنى لدى القارئ أو السامع للآية: أي حصول الختم على قلوب الكفار ثم الغشاوة على سمعهم وبصرهم. والله أعلم.

[4]-الختم في الجميع أي السمع والقلب والبصر، والغشاوة هي تلك الخاتم أي كل من القلب والسمع والبصر عليهم غشاوة وحجاب وربما يؤيد هذا قول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سورة الأعراف الآية 100. قال العلماء نطبع نختم وقوله في نفس السورة: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ سورة الأعراف الآية 101.

قال القاضي أبو محمد: وقد ذكرنا اعتراض أبي عليّ هذا القول، وقرأ أبو حيوة «غشوة»، بفتح الغين والرفع، وهي قراءة الأعمش.

وقال الثوري: «كان أصحاب عبد اللّه يقرؤونها «غشية» بفتح الغين والياء والرفع».

وقرأ الحسن: «غشاوة» بضم الغين، وقرئت «غشاوة» بفتح الغين، وأصوب هذه القراءات المقروء بها ما عليه السبعة من كسر الغين على وزن عمامة والأشياء التي هي أبدا مشتملة، فهكذا يجيء وزنها كالضمامة والعمامة والكنانة والعصابة والربابة وغير ذلك.[1]

والغشاوة: الغطاء فعالة من غشاه إذا غطاه، وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة.

«فإن قلت: ما معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار؟ قلت: لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة، وإنما هو من باب المجاز، ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل، أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم؛ لأن الحقّ لا ينفذ فيها، ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه، واستكبارهم عن قبوله، واعتقاده، وأسماعهم؛ لأنها تمجّه، وتتبو عن الإصغاء إليه، وتعاف استماعه، كأنها مستوثق منها بالختم، وأبصارهم؛ لأنها لا تجتلي آيات الله المعروضة، ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين، كأنما غطي عليها وحجبت، وحيل بينها وبين الإدراك، وأما التمثيل فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية».[2] التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية، وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه، «فقال [من الكامل]:

ختم الإله على لسان عذافر **** ختما فليس على الكلام بقادر.

وإذا أراد النطق خلت لسانه *** لحما يحركه لصقر ناقر.

[1]– المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص89.

[2]– الكشاف، الزمخشري، ج1، ص48.

وقرئ: (غشاوة) بالكسر والنصب، وغشاوة: بالضم والرفع، وغشاوة: بالفتح والنصب، وغشوة: بالكسر والرفع، وغشوة: بالفتح والرفع والنصب، وعشاوة: بالعين غير المعجمة والرفع، من العشا>>.[1]

يقول صاحب البحر المحيط: <وقرأ الجمهور: "غِشاوة" بكسر الغين ورفع التاء، وكانت هذه الجملة ابتدائية ليشمل الكلام الإسنادين: إسناد الجملة الفعلية وإسناد الجملة الابتدائية، فيكون ذلك آكد؛ لأنّ الفعلية تدل على التجدد والحدوث، والاسمية تدل على الثبوت. وكان تقديم الفعلية أولى؛ لأن فيها أن ذلك قد وقع وفرغ منه، وتقديم المجرور الذي هو على أبصارهم مصحح لجواز الابتداء بالنكرة، مع أن فيه مطابقة بالجملة قبله لأنه تقدم فيها الجزء المحكوم به. وهذه كذلك، الجملتان تؤول دلالتهما إلى معنى واحد، وهو منعهم من الإيمان>>.[2]

قال صاحب الجدول، وبه نطوي الكلام عن هذه الآية، وختامه مسك، ففي الجدول تفصيل نحوي وصرفي وبلاغي:

<<(ختم) فعل ماض (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع. (على قلوب) جارّ ومجرور متعلّق ب (ختم) و (الهاء) ضمير متّصل في محلّ جرّ مضاف إليه و (الميم) حرف لجمع الذكور. (الواو) عاطفة (على سمع) جارّ ومجرور متعلّق ب (ختم) على حذف مضاف أي مواضع سمعهم، و (هم) ضمير متّصل في محلّ جرّ مضاف إليه. (الواو) عاطفة (على أبصار) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف خبر مقدّم و (هم) في محلّ جرّ مضاف إليه (غشاوة) مبتدأ مؤخّر مرفوع. (الواو) عاطفة (اللام) حرف جرّ و (الهاء) ضمير متّصل في محلّ جرّ باللام متعلّق بمحذوف خبر مقدّم و (الميم) لجمع الذكور (عذاب) مبتدأ مؤخّر مرفوع. (عظيم) نعت ل (عذاب) مرفوع مثله. جملة: «ختم الله ...» لا محل لها استئنافية.

وجملة: «على أبصارهم غشاوة ...» لا محل لها معطوفة على الاستئنافية.

---

[1]– المرجع نفسه، ج1، ص 53/49/48.

[2]– البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج1، ص81.

وجملة: «لهم عذاب ...» لا محلّ ل معطوفة على الاستئنافية.

أما الجانب الصرفي فسأنقل كلمة غشاوة فقط عكس الجانب النحوي كونه يفصل ويدقق في التركيب.

(غشاوة) اسم جامد لما يغطي العين وزنه فِعَالة بكسر الفاء، ويجوز فتحها>>.[1]

أمّا فيما يخصّ البلاغة في هذه الآية:

<<في الآية استعارة تصريحية أصلية أو تبعية؛ إذا أوّلت الغشاوة بمشتق، أو جعلت اسم آلة على ما قيل، ويجوز أن يكون في الكلام استعارة تمثيلية؛ بأن يقال: شبهت حال قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم مع الهيئة الحادثة فيها المانعة من الاستنفاع بها بحال أشياء معدة للانتفاع بها؛ في مصالح مهمة، مع المنع من ذلك الختم والتغطية، ثم يستعار للمشبه اللفظ الدال على المشبه به، فيكون كل واحد من طرفي المشبه مركبا، والجامع عدم الانتفاع بما أعد له. فإن قلت: فلم أسند الختم إلى الله تعالى وإسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه بطرقه، وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح؟ قلت: القصد الى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها. وأمّا إسناد الختم الى الله عز وجل، فلينبّه على أن هذه الصفة في فرط تمكنها، وثبات قدمها كالشيء الخلقيّ غير العرضي.

وحد السمع لوحدة المسموع، دون القلوب والأبصار؛ لتنوع المدركات والمرئيات. وصف العذاب بقوله «عظيم» لتأكيد ما يفيده التنكير من التفخيم والتهويل، والمبالغة في ذلك أي لهم من الآلام العظام نوع عظيم، لا يبلغ كنهه، ولا تدرك غايته. التنكير: في قوله «غشاوة» وذلك للتفخيم والتهويل>>[2].

---

[1]–الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، مع فوائد نحوية هامة، محمود صافي، (طبعة مزيدة بإشراف اللجنة العلمية بدار الرشيد) ص51.

تنويه: كل ما في كتاب سيبويه تحت عنوان البلاغة أو الفوائد ليس من علم المؤلف، بل مضاف، دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط1، 1995م، ج1، ص50.

[2]– المرجع نفسه، الجدول في إعراب القرآن، محمود صافي، ج1، ص51.

وبهذا نكون قد عرفنا الأوجه المقروء بها في كلمة "غشاوة" من رفع ونصب وجرّ، واختلفت أوجه القراءات باختلاف القرّاء، وتعداد مذاهبهم ومشاربهم، فهناك أوجهٌ، تجوز عربية، ولا تجوز قراءة، وهناك أوجه تجوز عربية، وتتعين قراءة، وهي قراءة الجمهور كما أشار أبو حيان، وقال بعض المفسرين: قالوا: إنّ أصوب هذه القراءات المقروء بها ما عليه السبعة من كسر الغين على وزن عِمَامة، وأمّا من حيث البلاغة، فقلنا: إنّ الآية يمكن أن تكون استعارة تصريحية، كما يجوز أنْ تكون استعارة تمثيلية.

والآن نستأنف مع آية جديدة من سورة آل عمران لكن سنلتزم الاختصار قدر المستطاع عارضين اختلاف القراءات للآية وتوجيهها النحوي والبلاغي

**سورة آل عمران**

**الآية ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾**

«قرأ الجمهور "زُيّن" على بناء الفعل للمفعول، ورفع "حُبّ". وقرأ الضحاك ومجاهد " زَيَّنَ" على بناء الفعل للفاعل، ونصب "حبّ"، وقوله تعالى: "زُيّن للناس"، زيّن من التزيين، واختلف الناس من المزين، فقالت فرقة الله: زُيّن ذلك، وهو ظاهر قول عمر بن الخطاب –رضي الله عنه –ذكره البخاري، وفي التنزيل:﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها ﴾، ولما قال عمر: الآن يا ربّ حين زينتها لنا نزلت:﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ﴾، وقالت فرقة المزين هو الشيطان، وهو ظاهر قول الحسن، فإنه قال: من زينها؟ ما أحد أشدّ لها ذمًّا من خالقها فتزيين الله تعالى إنما هو بالإيجاد، والتهيئة للانتفاع، وإنشاء الجبلة على الميل إلى هذه الأشياء، وتزيين الشيطان إنّما هو بالوسوسة والخديعة، وتحسين أخذها من غير وجوهها. والآية على كلّا الوجهين ابتداء وعظ لجميع الناس، وفي ضمن ذلك توبيخ لمعاصري محمد –صلى الله عليه وسلم –من اليهود وغيرهم»[1].

[1]– مرجع سابق، المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص408.

يقول العكبري –رحمه الله: «قوله تعالى "زُيّن" قرأها الجمهور على الضم ورفع (حبُ) ويقرأ بالفتح وبالنصب (حبَ) تقديرها: "زيّن للناس الشيطان على ما جاء صريحا في الآية الأخرى».[1]

يظهر لنا من خلال أقوال العلماء أن "زُيّن" تقرأ بضم الزاي وفتحها على بناء الفعل وللمفعول، وهو قول الجمهور، وقول آخر يقول بفتح الزاي على بناء الفعل للفاعل، ونصب حبّ على أنه المفعول، وقد قرر الجمهور أن الضم أقوى في اختلافهم على فعل التزيين على صحة الرأيين.

وما يمكن استنتاجه من حيث الدلالة هي أن هذه القراءة تعبرعن فعل الجمال والتزيين الذي يقوم به الله تعالى في خلقه وأموره، مما يعكس رحمته وعنايته بالخلق والإحسان إليهم والله أعلم.

**سورة النساء**

**الآية:** ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ﴾ سورة النساء الآية01.

يقول الأخفش رحمه الله: قال تعالى:« ﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ﴾ خفيفة؛ لأنّها من تساؤلهم، فإنّهم "يتساءلون" فحذف التاء الأخيرة، وذلك كثير في كلام العرب نحو: (تكلّمون)، وإن شئت ثقّلت فأدغمت.

قال الله تعالى: ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ منصوبة أي: اتقوا الأرحام. وقال بعضهم: ﴿وَالْأَرْحَامِّ﴾ جرّ. والأول أحسن لأنك لا تجري الظاهر المجرور على المضمر المجرور».[2]

[1]– التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، تح: علي محمد البجاوي، الناشر عيسى وشريكاه، ج1، ص244.

[2]– معاني القرآن الأخفش، ج1، ص243.

وقد ظهر أنّ في الآية كلمتين، لهما أوجه قراءة وهما "تساؤلون" بالتشديد والتخفيف، والأرحام بالنصب على أنه معطوف على لفظ الجلالة منصوب مثله، وبالجر على القسم وهو ضعيف؛ لأنّ تقديره: "وبرب الأرحام". والله أعلم.

<<(تسّاءلون): يقرأ بتشديد السين، والأصل تتساءلون، فأبدلت التاء الثانية سينا؛ فرارا من تكرير المثل، والتاء تشبه السين في الهمس، ويقرأ بالتخفيف على حذف التاء الثانية؛ لأن الباقية تدلّ عليها، ودخل حرف الجر في المفعول؛ لأن المعنى تتحالفون به.

(والأرحام): يقرأ بالنصب، وفيه وجهان: أحدهما: معطوف على اسم الله؛ أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها. والثاني: هو محمول على موضع الجار والمجرور، كما تقول: "مررت بزيد وعمرا"؛ والتقدير: الذي تعظمونه والأرحام؛ لأنّ الحلف به تعظيم له، ويقرأ بالجرّ، قيل: هو معطوف على المجرور، وهذا لا يجوز عند البصريين، وإنما جاء في الشعر على قبحه، وأجازه الكوفيون على ضعف>>[1].

وقيل: الجرّ على القسم، وهو ضعيف أيضا؛ لأنّ الأخبار وردت بالنهي عن الحلف بالآباء، ولأنّ التقدير في القسم: "وبرب الأرحام"، هذا قد أغنى عنه ما قبله.

وقد قرئ شاذا بالرفع، وهو مبتدأ والخبر محذوف، تقديره: والأرحام محرمة، أو واجب حرمتها.[2]

وبهذا يكون عندنا ثلاثة أوجه في الأرحام، أولّها النصب، وهو قراءة صحيحة والجمهور على ذلك، أمّا الثاني فالجرّ، وتقديره ضعيف، كما أسلفنا الذكر، ووجه ثالث وهو الرفع، وهذا شاذ، وعندنا "تساءلون"، فهناك من قرأها بالتشديد، وهناك من قرأ بالتخفيف.

**سورة المائدة**

[1]- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، ج1، ص227/226.

[2]– المرجع نفسه، ص 227/226.

**الآية:** ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ سورة المائدة الآية02.

وفي الآية اختلاف كبير بين القراء، سنحاول إظهار أقوالهم في كلّ كلمة من الآية الكريمة.

قرأ نافع في رواية إسماعيل وابن عامر وأبي بكر "شَنْئان" قوم بإسكان النون مثل سرعان ووشكان. وقرأ الباقون "شنآن" بفتح النون، وهو الاختيار؛ لأن المصادر مما أوله مفتوح جاء أكثرها محركا، مثل "غلى غليانا"، و"ضرب ضربانا"، والإسكان قليل، وإنّما يجيء في المضموم والمكسور، مثل "شُكران" و"كفران" و"حرمان"، قال الفراء: الشنآن بالإسكان الاسم والشنآن المصدر. قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "إنْ صَدّوكم" بالكسر، وحجتهما أن الآية نزلت قبل فعلهم وصدّهم، قال اليزيدي: معناه لا يحملنّكم بغضُ قوم أن تعتدوا أنْ صَدّوكم، يقول إنْ صَدّوكم فلا يحملنّكم بغضُهم على أنْ تعتدوا.

وقرأ الباقون أن صدوكم أي لأن صدوكم وحجتهم أن الصد وقع من الكفار والمائدة في آخر ما أنزل من القرآن، وقد صحّت الأخبار عن جماعة من الصحابة أنّ نزول هذه السورة كان بعد فتح مكة، لم يكن حينئذ بناحية مكة أحدٌ من المشركين، يخاف أن يصدّ المؤمنين عن المسجد الحرام، فيقال: لا يحملنّكم إنْ صدكم المشركون عن المسجد بغضُكُم إيّاهم أنْ تعتدوا عليهم، فلمّا كان كذلك دلّ على أنّ القوم إنما نُهوا عن الاعتداء على المشركين؛ لصدٍّ كان قد سلف[1].

وقال صاحب التبيان في إعراب القرآن: الجمهور على فتح النون الأولى من "شنآن"، وهو مصدر كالغليان والنزوان، ويقرأ بسكونها، وهو صفة مثل "عطْشان" و"سَكْران"، والتقدير على هذا: لا يحملنّكم بغضُ قومٍ؛ أي عداوةُ بغضِ قومٍ، وقيل: من سكّنَ أراد المصدر أيضا، لكنّه خفّف لكثرة الحركات، وإذا حرّكت النونُ كان مصدرا مضافا إلى المفعول؛ أي: لا يحملنّكم بغضُكم لقومٍ، ويجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل؛ أي: بغضُ قومٍ إيّاكم. (أنْ

[1]–حجة القراءات، عبد الرحمان بن محمد، تح: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، ج1، ص220/219.

صدّوكم): يقرأ بفتح الهمزة وهي مصدرية، والتقدير: لأنْ صدّوكم، وموضعه نصب، أو جرّ على الاختلاف في نظائره، ويقرأ بكسرها [إنْ] على أنها شرط، والمعنى "إنْ يصدّوكم" مثل ذلك الصّدِّ؛ الذي وقع منهم، أو يستديموا الصدَّ، وإنما قُدّر بذلك؛ لأن الصدَّ كان قد وقع من الكفار للمسلمين.[1]

قال ابن عطية رحمه الله: قال القاضي أبو محمد: فأمّا من قرأ «شنآن» بفتح النون فالأظهر فيه أنه مصدر، كأنّه قال لا يكسبنّكم بغضُ قومٍ من أجل أنْ صدّوكم عُدوانا عليهم، وظلما لهم، والمصادر على هذا الوزن كثيرة كالنزوان والغليان والطَّوَفان والجريان وغيره، ويحتمل «الشنآن» بفتح النون؛ أن يكون وصفا فيجيء المعنى، ولا يكسبنّكم بغضُ قومٍ، أو بغضاء قوم عدوانا، وممّا جاء على هذا الوزن صفة قولهم: "حمارٌ قَطَوان" إذا لم يكن سهلَ السيرِ، وقولهم: عدوٌ وَصَمان؛ أي ثقيل، كَعَدْوِ الشيخ ونحوه، إلى غير هذا مما ليس في الكثرة كالمصادر، ومنه ما أنشده أبو زيد:

وقبلك ما هاب الرجال ظلامتي  وفقأت عين الأشوس الأبيان

بفتح الباء، وأمّا من قرأ «شنآن» بسكون النون، فيحتمل أن يكون مصدرا، وقد جاء المصدر على هذا الوزن في قولهم: "لويته بدَيْنِه ليانا"، وقول الأحوص [طويل]:

وإن لام فيه ذو الشنانِ وفنّدا

إنما هو تخفيف من «شنآن» الذي هو مصدر بسكون النون؛ لأنه حذف الهمزة، وألقى حركتها على الساكن، هذا هو التخفيف القياسي، قال أبو علي: من زعم أن "فَعَلان" إذا أسكنت عينه لم يكن مصدرا فقد أخطأ، وتُحتَمَل القراءةُ؛ بسكون النون، أن يكون وصفا فقد حكي: رجل شنآن وامرأة شنآنة، وقياس هذا أنه من فعل غير متعد، وقد يشتق من لفظ واحد فعل متعدٍ، وفعل قاصر، فيكون المعنى ولا يكسبنّكم بغضُ قومٍ، أو بغضاءُ قومٍ عُدوانًا،

[1]–التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، ص417/416.

وإذا قدرت اللفظة مصدرا، فهو مصدر مضاف إلى المفعول، وممّا جاء وصفا على "فعلان" ما حكاه سيبويه من قولهم: "خمصان"، ومن ذلك قولهم: "ندمان"[1].

وحكى المهدوي عن قوم: إنّها نزلت عام الحديبية؛ لأنه لما صدّ المسلمون عن البيت مرّ بهم قوم من أهل نجد، يريدون البيت، فقالوا: نصدّ هؤلاء كما صُدِدْنا، فنزلت الآية، وقرأ أبو عمرو وابن كثير «إنْ صدوكم» بكسر الهمزة، وقرأ الباقون «أنْ صدوكم» بفتح الهمزة؛ إشارة إلى الصد؛ الذي وقع، وهذه قراءة الجمهور، وهي أمكن في المعنى، وكسر الهمزة معناه إنْ وقع مثل ذلك في المستقبل. وقرأ ابن مسعود «أنْ يصدوكم» وهذه تؤيد قراءة أبي عمرو وابن كثير.[2]

تبين لنا أن في الآية كلمتان اختلف القراء في تأديتهما، وهما "شنآن" و"أنْ صدوكم"، أمّا شنآن فالأظهر كما قال العلماء أنها مفتوحة، وذلك للتفصيلات التي سبق وأن نقلناها، ومنهم من قرأها "شنْآن" بالإسكان، وهذا له أوجه، ولكن الأول أقوى.

وأمّا "أن صدوكم" فقلنا: إنّ ابن كثير وابن عمرو قرأوها بالكسر، وحجتهم على ذلك أن الآية نزلت قبل صدهم؛ أي إنْ صدوكم، فلا يحملنّكم بغضُهم على أنْ تعتدوا.

وقرأ الباقون بالفتح "أنْ صَدوكم"، وهذه تؤيد من قرأ بالكسر، لكنّ قراءة ابن مسعود هي إحدى القراءات الشاذة.

وفي الأخير نقول أن اختلاف القراءة في هذه الآية يعزز التأمل في مفهوم البغض والكراهية في الإسلام، ويساعد في فهم أبعاد الشجاعة والرد على المعاداة بالإحسان.وتعميق الروابط بين الإيمان والأخلاق.بهذا الشكل، يكون اختلاف القراء في كلمة "شَنِئَان" في سورة المائدة دلالة على التعبير عن الكراهية والبغضاء بشدة، ويفتح المجال للتأمل في كيفية التعامل مع العداء بشكل إسلامي صحيح

[1]– محور الوجيز، ابن عطية، ص149.

[2]–المرجع نفسه، ص150/149.

**سورة الأنعام**

الآية ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ سورة الأنعام الآية 16.

قال صاحب البحر المحيط:

ووقع فيها قولان: من القراء من يرى أنّ الياء من "يَصرف" مفتوحة مبنية للفاعل، ومن مفعول مقدّم، وهذه قراءة حمزة وأبي بكر والكسائي، أمّا باقي السبعة فقرأها مبنية للمفعول "ومن يُصرف" على أنّ الصارف هو الله، فهذا أمرٌ لابد منه؛ أي من أنّ الصارف هو الله، وسنذكر تخريجات وتوجيهات العلماء لهذه الآية على وجه الاختصار.

﴿ من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه ﴾ قرأ حمزة وأبو بكر والكسائي ﴿ من يصرف ﴾ مبنياً للفاعل فمن مفعول مقدم والضمير في ﴿ يصرف ﴾ عائد على الله ويؤيده قراءة أُبيّ ﴿ من يصرف ﴾ الله، وفي ﴿ عنه ﴾ عائد على العذاب، والضمير المستكن في ﴿ رَحِمَهُ ﴾ عائد على الرب؛ أي: أيّ شخص يصرف الله عنه العذاب، فقد رحمه الرحمة العظمى، وهي النجاة من العذاب، وإذا نجّي من العذاب دخل الجنة، ويجوز أن يعرب ﴿ من ﴾ مبتدأ والضمير في ﴿ عنه ﴾ عائد عليه، ومفعول ﴿ يصرف ﴾ محذوف اختصاراً، إذ قد تقدّم في الآية قبل التقدير: أيّ شخص يصرف الله العذاب عنه فقد رحمه، وعلى هذا يجوز أن يكون من باب الاشتغال فيكون ﴿ من ﴾ منصوباً بإضمار فعل يفسره معنى ﴿ يصرف ﴾ ويجوز على إعراب ﴿ من ﴾ مبتدأ أن يكون المفعول مذكوراً، وهو ﴿ يومئذ ﴾ على حذف أي هول يومئذ فينتصب ﴿ يومئذ ﴾ انتصاب المفعول به. وقرأ باقي السبعة ﴿ من يصرف ﴾ مبنياً للمفعول، ومعلوم أن الصارف هو الله تعالى، فحذف للعلم به، أو للإيجاز؛ إذ قد تقدّم ذكر الرّب ويجوز في هذا الوجه أن يكون الضمير في ﴿ يصرف ﴾ عائداً على ﴿ من﴾، وفي ﴿ عنه ﴾ عائداً على العذاب؛ أي: أيّ شخص يصرف عن العذاب، ويجوز أن يكون الضمير في ﴿ عنه ﴾ عائداً على ﴿ من ﴾ والضمير في ﴿ يصرف ﴾ عائداً على العذاب؛ أي: أيّ شخص يصرف العذاب عنه، ويجوز أن يكون الضميران عائدان على ﴿ من ﴾ ومفعول ﴿يصرف ﴾ ﴿ يومئذ ﴾، وهو مبني لإضافته إلى إذ، فهو في موضع رفع

بـ"يصرف"، والتنوين في ﴿ يومئذٍ ﴾ تنوين عوض من جملة محذوفة، يتضمنها الكلام السابق التقدير: يوم إذ يكون الجزاء، إذ لم يتقدّم جملة مصرّح بها يكون التنوين عوضاً عنها، وتكلم المعربون في الترجيح بين القراءتين على عادتهم، فاختار أبو عبيد وأبو حاتم وأشار أبو عليّ إلى تحسينه قراءة ﴿ يصرف ﴾ مبنياً للفاعل لتناسب ﴿ فقد رحمه ﴾، ولم يأت فقد رحم، ويؤيده قراءة عبد الله وأبيّ "من يصرف الله"، ورجح الطبري قراءة ﴿ يُصرف ﴾ مبنياً للمفعول قال: لأنها أقلُّ إضماراً. [1]

يقول ابن عطية رضي الله عنه:

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم «من يُصرف عنه» بضم الياء وفتح الراء، والمفعول الذي أسند إليه الفعل هو الضمير العائد على العذاب، فهو مقدّر، وقرأ حمزة والكسائي وعاصمٌ أيضا: «من يصرف عنه» فيسند الفعل إلى الضمير العائد إلى رَبِّي ويعمل في ضمير العذاب المذكور آنفا، لكنه مفعول محذوف، وحكي أنه ظهر في قراءة عبد الله، وهي «من يصرفه عنه يومئذ»، وفي قراءة أبيّ بن كعب «من يصرفه الله عنه» وقيل: إنها من يصرف الله عنه، قال أبو علي: وحذف هذا الضمير لا يحسن، كما يحسن حذف الضمير من الصلة كقوله عز وجل: ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾ [الفرقان: ٤١] وكقوله: وَسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى [النمل: ٥٩]، معناه بعثه واصطفاهم فحسن هذا للطول، كما علّله سيبويه، ولا يحسن هذا لعدم الصلة، قال بعض الناس القراءة بفتح الياء «من يَصرف» أحسن؛ لأنه يناسب فَقَدْ رَحِمَهُ، وكان الأولى على القراءة الأخرى «فقد رحم» ليتناسب الفعلان.[2]

[1]– البحر المحيط، ابن عطية، ص454.

[2]– المحرر الوجيز، ابن عطية، ص274/273.

قال القاضي أبو محمد: وهذا توجيه لفظي تعلقه خفيف، وأما بالمعنى فالقراءتان واحد، ورجح قوم قراءة ضم الياء؛ لأنها أقل إضمارا، وأشار أبو علي إلى تحسين القراءة بفتح الياء بما ذكرناه.[1]

وقال صاحب التبيان قولا ملخصا جامعا مانعا شافيا كافيا: قوله تعالى: (من يصرف عنه): يقرأ بضم الياء وفتح الراء على ما لم يسم فاعله، وفي القائم مقام الفاعل وجهان: أحدهما: يومئذ؛ أي: من يصرف عنه عذاب يومئذ، فحذف المضاف، ويومئذ مبني على الفتح.

والثاني: أن يكون مضمرا في " يصرف " يرجع إلى العذاب، فيكون يومئذ ظرفا لـ " يصرف، أو للعذاب، أو حالا من الضمير.

ويقرأ بفتح الياء وكسر الراء على تسمية الفاعل؛ أي: من يصرف الله عنه العذاب، فمن على هذا مبتدأ؛ والعائد عليه الهاء في عنه. وفي رحمه، والمفعول محذوف وهو العذاب ويجوز أن يكون المفعول " يومئذ " أي: عذاب يومئذ.

ويجوز أن تجعل " من " في موضع نصب بفعل محذوف، تقديره: من يكرم يصرف الله عنه العذاب، فجعلت " يصرف " تفسيرا للمحذوف، ومثله ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: 40] ويجوز أن ينصب من يصرف، وتجعل الهاء في عنه للعذاب؛ أي: أي إنسان يصرف الله عنه العذاب فقد رحمه، فأما " من " على القراءة الأولى فليس فيها إلا الرفع على الابتداء والهاء في عنه يجوز أن ترجع على " من " وأن ترجع على العذاب.[2]

قد تفنن العلماء فيما قرّروه من توجيهات في قراءة "يَصرف" بفتح الياء وكسر الراء، والوجه الثاني بضم الياء وفتح الراء، وقد كتبنا ملخص الملخص من كلامهم في البداية قبل البدء في نقل توجيهاتهم

[1]–المرجع نفسه، ص247.

[2]– التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، ص485/484.

وما يمكن استنتاجه من اختلاف القراءات أن الآية تشير إلى قدرة الله على توجيه وتنظيم شؤون الخلق وإدارة مصائرهم بحسب حكمته. والله أعلم.

وبهذا نكون قد طوينا الجزء الأول، وهو نماذج من الربع الأول للقرآن الكريم محيلين إلى المطولات، مشيرين إلى المراجع والمصادر إلى من له حبّ الاطلاع والزيادة حول أسرار اختلاف القراءات، وبالله التوفيق.

## المبحث الثاني: النكت النحوية والبلاغية لاختلاف القراءات القرآنية لنماذج من الربع الثاني للقرآن الكريم.

نستأنف مستعينين بحول الله وقوته المبحث الثاني للجزء التطبيقي مع الربع الثاني للقرآن الكريم، والذي يبدأ من سورة الأعراف إلى وسط سورة الكهف، أو ما يقاربها.

**سورة الأعراف:**

الآية: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾سورة الأعراف الآية 25.

محل الشاهد في الآية هو:﴿ ولباسُ ﴾.

وقال فيها ابن عطية: وقرأ نافع وابن عامر والكسائي «ولباسَ» بالنصب عطفاً على ما تقدم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة «ولباسُ» بالرفع، فقيل هو خبر ابتداء مضمر تقديره وهو لباس، وقيل هو مبتدأ و﴿ ذلك ﴾مبتدأ آخر، و﴿ خير ﴾خبر﴿ ذلك ﴾، والجملة خبر الأول، وقيل هو مبتدأ و﴿ خير ﴾خبره، و﴿ ذلك ﴾بدل، أو عطف، بيان أو صفة، وهذا أنبل الأقوال، ذكره أبو عليّ في الحجة.[1]

وقال جار الله الزمخشري:﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ولباس الورع والخشية من الله تعالى، وارتفاعه على الابتداء، وخبره إمّا الجملة التي هي﴿ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾، كأنه قيل: "ولباس التقوى هو خير"؛ لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر. وأمّا المفرد الذي هو خير، وذلك صفة للمبتدأ، كأنه قيل: "ولباس التقوى المشار إليه خير". ولا تخلو الإشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى، أو أن تكون إشارة إلى اللباس المواري للسوأة؛ لأنّ مواراة السوأة من التقوى، تفضيلاً له على لباس الزينة. وقيل: "لباس التقوى" خبر مبتدأ محذوف، أي: "وهو لباس التقوى"، ثم قيل: "ذلك خير". وفي قراءة عبد الله وأبيّ «ولباس التقوى خير». وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها؛

[1]– المحرر الوجيز، ابن عطية، ج2، ص389.

مما يتقى به في الحروب، وقرئ: «ولباسَ التقوى»، بالنصب عطفاً على لباساً وريشاً﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾الدالة على فضله ورحمته على عباده. يعني إنزال اللباس﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾، فيعرفوا عظيم النعمة فيه، وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها، إظهاراً للمنة فيما خُلق من اللباس، ولمَا في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأنّ التستر بابٌ عظيم من أبواب التقوى.[1]

وهذا تخريج من العلامة الزمخشري يسيل عذوبة ودقة؛ في توجيهه النحوي البلاغي، أمّا الإمام الطاهر بن عاشور –أعاد الله علينا بركته –فقد قال في هذا الصدد عن هذه الآية: وقوله: "ولباس التقوى" قرأه نافع، وابن عامر، والكسائي، وأبو جعفر: بالنصب، عطفا على "لباسًا" فيكون من اللباس المنزل أي الملهم، فيتعين أنه لباس حقيقةً؛ أي شيءٌ يلبس، والتقوى، على هذه القراءة، مصدر بمعنى الوقاية، فالمراد: لبوس الحرب، من الدروع والجواشن والمغافر. فيكون كقوله تعالى:﴿ وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ وسرابيل تقيكم بأسكم ﴾. والإشارة باسم الإشارة المفرد بتأويل المذكور، وهو اللباس بأصنافه الثلاثة، أي خير أعطاه الله بني آدم، فالجملة مستأنفة، أو حال من "لباسًا"، وما عطف عليه.

وقرأه ابن كثير، وعاصم، وحمزة، وأبو عمرو، ويعقوب، وخلف: برفع: "لباس التقوى" على أن الجملة معطوفة على جملة: "قد أنزلنا عليكم لباسا"، فيجوز أن يكون المراد بلباس التقوى مثل ما يرد به في قراءة النصب. ويجوز أن يكون المراد بالتقوى تقوى الله وخشيته، وأطلق عليها اللباس إما بتخييل التقوى بلباس يلبس، وإما بتشبيه ملازمة تقوى الله بملازمة اللابس لباسه، كقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ مع ما يحسن هذا الإطلاق من المشاكلة.

وهذا المعنى الرفع أليق به. ويكون استطرادا للتحريض على تقوى الله، فإنها خيرٌ للناس من منافع الزينة، واسم الإشارة على هذه القراءة لتعظيم المشار إليه. وجملة: "ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون" استئناف ثان على قراءة: "ولباسَ التقوى" بالنصب؛ بأن استأنف بعد الامتنان

[1]– الكشاف، الزمخشري، ج2، ص97.

بأصناف اللباس، استئنافين يؤذنان بعظيم النعمة: الأول بأن اللباس خير للناس، والثاني بأن اللباس آية من آيات الله، تدلّ على علمه ولطفه، وتدل على وجوده، وفيها آية أخرى وهي الدلالة على علم الله تعالى؛ بأن ستكون أمة يغلب عليها الضلال، فيكونون في حجهم عراة، فلذلك أكّد الوصاية به. والمشار إليه بالإشارة التي في الجملة الثانية، عين المشار إليه بالإشارة التي في الجملة الأولى، وللاهتمام بكلتا الجملتين جعلت الثانية مستقلة غير معطوفة.

وعلى قراءة رفع: "ولباس التقوى" تكون جملة: ذلك من آيات الله استئنافا واحدا، والإشارة التي في الجملة الثانية عائدة إلى المذكور قبل؛ من أصناف اللباس؛ حتى المجازي على تفسير لباس التقوى بالمجازي.[1]

المتمعن في كلام العالمين الزمخشري والطاهر بن عاشور يرى أنهما ينطلقان في كلامهما من مشكاة واحدة، وفي ذلك لشدة التقارب والتشابه في التوجيه والتفسير، وبهذا نكون قد علمنا أن كلمة "لباس" لها وجهان في القراءة الضمُّ والفتحُ.

وأهم ما استخلصناه أن تعدد القراءة في هذه الآية يقوي ويعزز أهمية الحشمة والستر على تفسير بعضهم.وكذلك لباس الوقاية والحرب والتأهب

ومن أبرز ما تدل عليه الآية هو التأمل في الصفات الروحية وأهمية لباس التقوى في الإسلام، وكيف أنه يعكس التزام المؤمن بالتقوى والتزين بها والله أعلم.

**سورة الأنفال:**

وقع اختلاف في الآية التالية: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ سورة الأعراف الآية 09.

[1]– التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج8، ص76/75.

والشاهد هو كلمة ﴿مُرۡدَفِينَ﴾ ويقرأ بضمّ الميم، وكسرِ الدالِ، وتشديدها، وعلى هذا في الراء ثلاثةُ أوجه: الفتح، وأصلها مرتدفين، فنقلت حركة التاء إلى الراء، وأبدلت دالا؛ ليصح إدغامها في الدال، وكان تغيير التاء أولى؛ لأنها مهموسة، والدّال مجهورة، وتغيير الضعيف إلى القوي أولى. والثاني: كسر الراء على إتباعها لكسرة الدال، أو على الأصل في التقاء الساكنين. والثالث: الضم إتباعا لضمّة الميم.

ويقرأ بكسر الميم والراء على إتباع الميم الراء. وقيل: من قرأ بفتح الراء وتشديد الدال فهو من ردف بتضعيف العين للتكثير، أو أنّ التشديد بدل من الهمزة كـ «أفرجته وفرجته.[1]

قوله تعالى: "مُرْدِفِينَ". يقرأ بكسر الدّال وفتحها. فالحجّة لمن كسر الدال: أنه جعل الفعل للملائكة، فأتى باسم الفاعل من «أردف». والحجة لمن فتح الدال: أنه جعل الفعل لله عز وجلّ، فأتى باسم المفعول به من «أردف». والعرب تقول: أردفت الرجل: أركبته على قطاة[2] دابّتي خلفي. وردفته: إذا ركبت خلفه.[3]

قال ابن عطية في المحرر الوجيز: ومُرْدِفِينَ معناه متبعين، ويحتمل أن يراد المردفين المؤمنين أي أردفوا بالملائكة فمُرْدِفِينَ على هذا حال من الضمير في قوله "مُمِدُّكُمْ" ويحتمل أن يراد به الملائكة؛ أي أردف بعضهم ببعض، وهذه القراءة بفتح الدال، وهي قراءة نافع وجماعة من أهل المدينة وغيرهم، وقرأ سائر السبعة غير نافع «مردِفين» بكسر الدال وهي قراءة الحسن ومجاهد، والمعنى فيها تابع بعضهم بعضا، وروي عن ابن عباس خلف كلِّ مَلَك مَلَكٌ، وهذا معنى التتابع، يقال: ردف وأردف إذا أتبع وجاء بعد الشيء، ويحتمل أن يراد مردِفين المؤمنين.

---

[1]– التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، ج2، ص618.

[2]–القطاة: العجز، وما بين الوركين، أو مقعد الرديف من الدابة (القاموس المحيط)

[3]– الحجة في القراءات السبعة، ابن خلويه، تح: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط4، 1401هـ، ص169.

ويحتمل أن يراد مردفين بعضهم بعضا، ومن قال «مردفين» بمعنى أن كل مَلَك أردف مَلَكا وراءه فقول ضعيف، لم يأت بمقتضاه رواية، وقرأ رجل من أهل مكة رواه عنه الخليل «مردّفين» بفتح الراء وكسر الدال وشدها. وروي عن الخليل أنها بضم الراء كالتي قبلها، وفي غير ذلك، وقرأ بعض الناس بكسر الراء مثلهما في غير ذلك، حكى ذلك أبو عمرو [الشيباني] عن سيبويه، وحكاه أبو حاتم قال: كأنه أراد مرتدفين فأدغم وأتبع الحركة، ويحسن مع هذه القراءة كسر الميم، ولا أحفظه قراءة، وأنشد الطبري شاهدا على أن أردف بمعنى جاء تابعا قول الشاعر خزيمة بن مالك: [الوافر]

إذا الجوزاء أردفت الثّريّا *****ظننت بآل فاطمة الظّنونا[1]

وقد علمنا فيما نقلناه عن علمائنا أن قراءة مردفين بالفتح لها معنًى، وتخريج معين، وقد ذكرنا ذلك، وقلنا: إنّها قراءة نافع، وجماعة من المدينة.

وكذلك قراءتها بالكسر لدى باقي القرّاء، وهم الحسن ومجاهد وغيرهم؛ من القراء، والمعنى تابع بعضهم بعضا.

وقرأ بعضهم بضم الراء وبكسرها، وهي أقوال ضعيفة، وقال: أبو حاتم لا أحفظه قراءة أي ما قاله أو حكاه أبو عمر عن سيبويه وروي عن الخليل.

وما يمكن استنتاجه من حيث الدلالة في قوله تعالى أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين يشير إلى استعدادهم –أي الملائكة–الكامل لتقديم النصر والدعم في القتال لصالح المؤمنين، مع التركيز على التتابع والاستمرارية في الدعم والمساعدة بما يكفل النجاح في المعركة بإذن الله.

**سورة التوبة**

[1]– المحرر الوجيز، ابن عطية، ج2، ص505/504.

وفي السورة آية قرأ فيها القراء على وجهين مختلفين، الآية هي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾سورة التوبة الآية 37.

والشاهد هو: ﴿يُضَلُّ﴾فمنهم من فتح الياء، ومنهم من ضمها، وفي هذا يقول صاحب البحر المحيط: وقرأ ابن مسعود والأخوان وحفصٌ: "يُضَلُّ" مبنيا للمفعول، وهو مناسب لقوله: "زُيّن"، وباقي السبعة مبنيا للفاعل. وابن مسعود في رواية، والحسن ومجاهد وقتادة وعمرو بن ميمون ويعقوب: يضل أي الله، أي: يضل به الذين كفروا اتباعهم. ورويت هذه القراءة عن: الحسن، والأعمش، وأبي عمرو، وأبي رجاء. وقرأ أبو رجاء: يضل بفتحتين من ضللت بكسر اللام، أضل بفتح الضاد منقولا، فتحها من فتحة اللام إذ الأصل أضلل. وقرأ النخعي ومحبوب عن الحسن: "نُضِلُّ" بالنون المضمومة وكسر الضاد، أي: نُضِلّ نحنُ.[1]

كما أورد صاحب الحجة للقراء السبعة في هذه الآية: اختلفوا في فتح الياء وكسر الضّاد وضمّ الياء وفتح الضّاد؛ من قوله تعالى: "يَضِلُّ به الذين كفروا". فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر "يَضِلُّ به" بفتح الياء وكسر الضاد. فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر "يَضِلُّ به"؛ بفتح الياء وكسر الضاد. وقرأ عاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي: "يُضِلُّ به" بضم الياء وفتح الضاد،

قال أبو علي: وجه من قرأ: "يضل" أن الذين كفروا لا يخلون من أن يكونوا مضلّين لغيرهم، أو ضالين هم في أنفسهم، وإذا كان كذلك لم يكن في إسناد الضلال إليهم في قوله: "يَضِل" إشكال، ألا ترى أن المضلّ لغيره ضالّ بفعله إضلال غيره، كما أنّ الضالّ في نفسه الذي لم يضلّه غيره لا يمتنع إسناد الضلال إليه. يضلّونهم بأمرهم إياهم بحملهم على هذا التأخير في الشهور، وزعموا أنّ في التفسير: أنّ رجلا من كنانة يقال له: أبو ثمامة، كان يقول للناس في منصرفهم من الحج: إنّ آلهتكم قد أقسمت لتحرّمنّ، وربما قال: لتحلّنّ، هذا الشهر، يعني: المحرم، فيحلّونه ويحرّمون صفرا، وإن حرّموه أحلّوا صفرا، وكانوا يسمّونهما

[1]– البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج5، ص 417.

الصّفرين، فهذا إضلال من هذا المنادي لهم، يحملهم بندائه على ذلك، وقوله تعالى: "يضل" يفعل من هذا، زعموا أنّ في حرف ابن مسعود "يضل به الذين كفروا"، ويقوّي ذلك: ما أتبع هذا من الفعل المسند إلى المفعول، وهو قوله: "زين لهم سوء أعمالهم"؛ أي: زيّن لهم ذلك حاملوهم عليه، وداعوهم إليه. ولو قرئ: "يضل به الذين كفروا" لكان الذين كفروا في موضع رفع، بأنهم الفاعلون، والمفعول به محذوف تقديره: يضلّ به الذين كفروا تابعيهم والآخذين بذلك، ومعنى: يضل به الذين كفروا يضلّ بنسء الشهور[1].

قرأ القراء قولَ ربنا عز وجل: ﴿يَضِلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾بفتح الياء وضمها على البناء للفاعل وعلى البناء للمفعول، وحدث إشكال على أن من يضل غيره فهو ضالٌّ له ولنفسه، كما أنّ الضالّ في نفسه؛ الذي لم يضله غيره، لا يمتنع بإسناد الضلال إليه، وقوم قالوا: إنّ الكسرة والشاذة الأمرين هم الذين يضلون وقوم على أن الله هو الذي يضلهم وهذه على من قرأ يضل بضم الياء منهم ابن مسعود والحسن ومجاهد وغيرهم، ومنهم من قرأ "يَضَل" بفتحتين ومنهم من قرأ "نَضِلُّ"؛ أي نضلُّ نحن.

أما ما يمكن قوله حول الدلالة البلاغية والتأويلية: في قوله تعالى يضل: أنها تشير إلى قدرة الله على تضليل من يشاء وفق حكمته، وتبرز مفهوم الاختيار الإلهي في توجيه الناس إلى الهدى أو الضلال.

وبهذا نكون قد أتممنا بتوفيق الله نماذج اختلاف القراءات القرآنية من الربع الثاني للقرآن الكريم. فنرجو العفو من كل تفصير.وقوم قالوا أن الكُبَرَاء والسّادة الآمرين.

[1]– الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، تح: بدر الدين قهوجي، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط2، 1413، ج4، ص194.

## المبحث الثالث: النكت النحوية والبلاغية لاختلاف القراءات القرآنية لنماذج من الربع الثالث للقرآن الكريم.

نشرع بإذن الله في الربع الثالث للقرآن الكريم، وهو من سورة الكهف حتى سورة يس، "وما أنزل على قومه من بعده من جند". سائلين المولى العظيم الإخلاص والسداد.

**سورة الكهف**

الآية ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ سورة الكهف الآية 88.

والشاهد هو ﴿ جَزَآءً ﴾ اختلف فيها على أنها تقرأ بالرفع والنصب.

قال صاحب المحيط: وقرأ حمزة والكسائي وحفص وأبو بحرية والأعمش وطلحة وابن مناذر ويعقوب وأبو عبيد وابن سعدان وابن عيسى الأصبهاني وابن جبير الأنطاكي ومحمد بن جرير﴿ فله جزاء ﴾بالنصب والتنوين، وانتصب﴿ جزاء ﴾على أنه مصدر في موضع الحال؛ أي مجازي كقولك: "في الدار قائماً زيد". وقال أبو علي قال أبو الحسن: هذا لا تكاد العرب تكلّم به مقدماً إلاّ في الشعر. وقيل: انتصب على المصدر؛ أي يجزي﴿ جزاء ﴾. وقال الفراء: هو منصوب على التفسير، والمراد بالحسنى على قراءة النصب الجنّة. وقرأ باقي السبعة﴿ جزاء الحسنى ﴾؛ برفع﴿ جزاء ﴾مضافاً إلى﴿ الحسنى ﴾. قال أبو عليّ جزاء الخلال الحسنة؛ التي أتاها وعملها، أو يراد بالحسنى الحسنة، والجنة هي الجزاء، وأضاف كما قال دار الآخرة، و﴿ جزاء ﴾مبتدأ، وله خبره.

وقرأ عبد الله بن إسحاق﴿ فله جزاء ﴾مرفوع، وهو مبتدأ وخبر، و﴿ الحسنى ﴾بدل من﴿ جزاء ﴾. وقرأ ابن عباس ومسروق﴿ جزاءَ ﴾نصب بغير تنوين﴿ الحسنى ﴾بالإضافة، ويُخرّج على حذف المبتدأ؛ لدلالة المعنى عليه؛ أي﴿ فله ﴾الجزاء﴿ جزاء الحسنى ﴾وخرّجه المهدويّ على حذف التنوين لالتقاء الساكنين.[1]

[1]– البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج7، ص223/222. وقد أورد صاحب الحجة للقراء السبعة كلاما يشبه كلام البحر المحيط لمن أراد لاستزادة ينظر: الحجة للقراء السبعة، ج5، ص170.

كما يوضح صاحب التبيان كيفية قراءة "جزاء" وأوجهها النحوية فيقول:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (جَزَاءً الْحُسْنَى): يُقْرَأُ بِالرَّفْعِ وَالْإِضَافَةِ، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ، أَوْ مَرْفُوعٌ بِالظَّرْفِ، وَالتَّقْدِيرُ: فَلَهُ جَزَاءُ الْخَصْلَةِ الْحُسْنَى .وَيُقْرَأُ بِالرَّفْعِ وَالتَّنْوِينِ، وَالْحُسْنَى بَدَلٌ، أَوْ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ . وَيُقْرَأُ بِالنَّصْبِ وَالتَّنْوِينِ، أَيْ فَلَهُ الْحُسْنَى جَزَاءً، فَهُوَ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَال، أَيْ مَجْزِيًّا بِهَا. وَقِيلَ: هُوَ مَصْدَرٌ عَلَى الْمَعْنَى، أَيْ يُجْزَى بِهَا جَزَاءً. وَقِيلَ: تَمْيِيزٌ.

وَيُقْرَأُ بِالنَّصْبِ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ، وَهُوَ مِثْلُ الْمَنُونِ، إِلَّا أَنَّهُ حَذَفَ التَّنْوِينَ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ.[1]

وقال آخرون بالرفع والإضافة وبذلك يكون مبتدأ، وتقرأ بالنصب والتنوين، وبذلك يكون مصدرا، أي "فله الحسن جزاء"، وبالنصب من غير تنوين، وله نفس المعنى مع هذا، وفي الأخير يحذف التنوين لالتقاء الساكنين.

وما يمكن قوله: أن اختلاف القراء في كلمة "جَزَاء" فيه دلالة على التفرد في الجزاء والثواب أو العقاب بحسب الأعمال، ويساعد في تعميق الفهم والتأمل في مفهوم العدالة الإلهية وتوزيع الأجور والعقوبات في الإسلام.

**سورة طه**

قال سبحانه وتعالى في الآية الكريمة: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾سورة طه الآية 69.

والشاهد هو: ﴿تَلْقَفْ﴾

قال صاحب التبيان:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (تَلْقَفْ): يُقْرَأُ بِالْجَزْمِ عَلَى الْجَوَابِ، وَالْفَاعِلُ ضَمِيرُ «مَا» وَأُنِّثَ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْعَصَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ضَمِيرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَنُسِبَ ذَلِكَ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُ يَكُونُ بِتَسَبُّبِهِ.

[1]– التبيان في إعراب القرآن، أبو بقاء العكبري، ج2، ص 860.

وَيُقْرَأُ بِضَمِّ الْفَاءِ عَلَى أَنَّهُ حَالٌ مِنَ الْعَصَا، أَوْ مِنْ مُوسَى ; وَهِيَ حَالٌ مُقَدَّرَةٌ، وَتَشْدِيدُ الْقَافِ وَتَخْفِيفُهَا قِرَاءَتَانِ بِمَعْنًى. وَأَمَّا تَشْدِيدُ الْقَافِ فَعَلَى تَقْدِيرِ: تَتَلَقَّفْ، وَقَدْ ذُكِرَ مِثْلُهُ فِي مَوَاضِعَ[1].

كما قال الإمام الألوسي –رحمه الله:

وقوله تعالى:﴿ تَلْقَفْ مَا صَنَعُواْ ﴾بالجزم جوابُ الأمر، من لقفه ناله بالحذق باليد أو بالفم، والمراد هنا الثاني والتأنيث بكون ما عبارة عن العصا أي تبتلع ما صنعوه من الحبال والعصي التي خيل إليك سعيها، والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والإيذان بالتمويه والتزوير. وقرأ الأكثرون﴿ تلقف ﴾بفتح اللام وتشديد القاف وإسقاط إحدى التاءين من تتلقف. وقرأ ابن عامر كذلك، إلا أنه رفع الفعل على أن الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، أو حال مقدرة من فاعل﴿ ألق ﴾، بناءً على تسببه، أو من مفعوله؛ أي متلقفاً أو متلقفة، وجملة الأمر معطوفة على النهي، متممة بما في حيزها؛ لتعليل موجبه؛ ببيان كيفية علوه، وغلبه –عليه السلام –فإن ابتلاع عصاه عليه السلام لأباطيلهم؛ التي منها أوجس في نفسه خيفة يقلع مادة الخوف بالكلية. وزعم بعضهم أن هذا صريح في أن خوفه –عليه السلام –لم يكن من مخالجة الشك للناس في معجزة العصا، وإلا لعلل بما يزيله من الوعد بما يوجب إيمانهم وفيه تأمل.[2]

وقال ابن عطية: وقرأ جمهور القراء «تلقّف» بالجزم على جواب الأمر وبشدّ القاف، وقرأ ابن عامر وحده «تلقف» وهو في موضع الحال، ويصحّ أن يكون من الملقي على اتساع، ويصحّ أن يكون من الملقى، وهي العصا، وهذه حال، وإن كانت لم تقع بعد كقوله تعالى: ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾ [المائدة: ٩٥] وهذا كثير. وقرأ حفص عن عاصم «تلْقف» بسكون اللام وتخفيف القاف، وأنث الفعل، وهو مسند إلى ما في اليمين من حيث كانت العصا مرادة بذلك، وروى البزي عن ابن كثير أنه كان يشدد التاء من «تلقف» كأنه أراد تتلقف فأدغم،

[1]–المرجع نفسه، ج2، ص896.

[2]–روح المعاني، الألوسي، ج8، ص540.

وأنكر أبو علي هذه القراءة عليه، ويشبه أن قارئها إنما يلتزمها في الوصل حيث يستغنى عن جلب ألف.[1]

ونورد في الختام دلالة هذه القراءات وهي تعني أن الإمساك بالشيء بسرعة وقوة وتُستخدم للدلالة على القدرة الكبيرة والاستعداد السريع للإمساك بالأمور أو الأشياء والله أعلى وأعلم.

**سورة المؤمنين**

الآية: ﴿ وَأَنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ سورة المؤمنون الآية52.

الشاهد من هذه الآية هو: ﴿ وَأَنَّ ﴾بين مخفّف للنون ومشدد، وبين كسر الألف وفاتح لها وفي هذا يقول صاحب الحجة للقراء السبعة: اختلفوا في قوله:﴿ وَأَنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ [المؤمنون/ ٥٢] في فتح الألف وكسرها، فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (وأنّ هذه) بفتح الألف وتشديد النون.وقرأ ابن عامر: (وأنْ) بفتح الألف أيضا وتخفيف النون. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: وإنّ هذه بكسر الألف وتشديد النون.

من قرأ: (وأنّ هذه) كان المعنى في قول الخليل وسيبويه أنه محمول على الجارّ، التقدير: ولأن هذه أمّتكم أمّة واحدة، وأنا ربّكم فاتّقون، أي اعبدوني لهذا. ومثل ذلك عندهم قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ [الجن/ ١٨] المعنى: ولأن المساجد لله. وكذلك عندهم قوله: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴾ [قريش/ ١] كأنه: "فليعبدوا ربّ هذا البيت لإيلاف قريش"، أي: ليقابلوا هذه النعمة بالشكر، والعبادة للمنعم عليهم بها، وعلى هذا التقدير يحمل قراءة ابن عامر، ألا ترى أنّ (أنّ) إذا خفّفت اقتضت ما يتعلّق به اقتضاءها، وهي غير مخفّفة، والتخفيف حسن في هذا؛ لأنه لا فعل بعدها، ولا شيء ممّا لا يلي أن، فإذا كان كذلك كان

[1]– المحرر الوجيز، ابن عطية، ج4، ص 52.

تخفيفها حسنا، ولو كان بعدها فعل لم يحسن؛ حتى تعوّض السين أو سوف، أولا إذا كان في نفي، فإذا لم يكن بعدها فعل ساغ التخفيف، ومثل ذلك قوله تعالى:

﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس/ ١٠]

ومن كسر فقال: (وإنّ هذه أمّتكم) لم يحملها على الفعل، كما يحملها من فتح، ولكن جعلها كلاما مستأنفا، ويجوز أن يكون فيه تنبيه على الاعتداد بالنعمة، كقول من فتح أنّ، فكان معنى: وأن هذه أمتكم أمة واحدة؛ أي: أنتم أهل دعوة واحدة ونصرة، ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا، وقال: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ [الشورى ١٣]، من الاتفاق على التوحيد، وخلع ما تدعون إليه من دونه[1].

وقال الطاهر بن عاشور في سياق هذه الآية:

فقرأ الجمهور﴿ وأنّ ﴾بفتح الهمزة وتشديد النون، فيجوز أن تكون خطاباً للرسل، وأن تكون خطاباً للمقصودين بالنذارة على الوجهين، وفتح الهمزة بتقدير لام كي؛ متعلقة بقوله:﴿ فاتقون ﴾عند من لا يرى وجود الفاء فيه مانعاً من تقديم معموله، أو متعلقة بمحذوف دلّ عليه﴿ فاتقون ﴾عند من يمنع تقديم المعمول على العامل المقترن بالفاء، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ في سورة النحل (51) المعنى عليه: "ولكون دينكم ديناً واحداً لا يتعدد فيه المعبود". "وكوني ربَّكم فاتَّقون، ولا تشركوا بي غيري"، خطاباً للرسل، والمراد أممهم. أو خطاباً لمن خاطبهم القرآن. وقرأه عاصم وحمزة والكسائي وخلف بكسر همزة (إنّ)، وتشديد النون، فكسر همزة (إنّ) إمّا لأنها واقعة في حكاية القول على الوجه الأول، وإمَّا لأنها مستأنفة على الوجه الثاني. والمعنى كما تقدم في معنى قراءة الجمهور. وقرأ ابن عامر بفتح الهمزة وتخفيف النّون؛ على أنها مخففة من (أنّ) المفتوحة واسمها ضمير شأن محذوف، وخبرها الجملة التي بعدها. ومعناه كمعنى قراءة الجمهور سواء. واسم الإشارة مراد به شريعة كلّ من الأنبياء، أو شريعة الإسلام على الوجهين؛ في المخاطب بهذه الآية.

[1]– الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد عبد الغفار، ج5، ص297.

وتأكيد الكلام بحرف (إنّ) على القراءات كلها؛ للرد على المشركين من أمم الرسل، أو المشركين المخاطبين بالقرآن.[1]

إذًا في هذه الآية أوجهٌ، أولها بفتح الهمزة، وله أوجه: منها تقديره ولأن ... وأنّها تقرأ بالكسر على الاستئناف، وفتح الهمزة بتخفيف النون لها معنى واحد، مع فتح الهمزة وتشديد النون كما قال ذلك ابن عاشور –رحمه الله.

وما يمكن قوله باختصار هو: "أَن" تستخدم في القرآن للتأكيد والإيمان العميق بالموضوع الذي يأتي بعدها في النص سواء كان ذلك في الإيمان بالله، أو في بيان حقائق دينية أخرى.ويبين الله في هذه الآية أن المؤمنين من جميع أنحاء العالم يشكلون أمة واحدة. هذا يعزز الإيمان بوحدة المسلمين رغم اختلافهم في الجنسيات والأعراق والثقافات، مما يعزز الروح الإسلامية للتضامن والتعاون بين أفراد الأمة الواحدة.

**سورة القصص**

الآية التي اختلف فيها القراء هي: ﴿فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ سورة القصص الآية 34.

والشاهد هو ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ فمنهم من قرأها بالجزم؛ أي بسكون القاف، ومنهم من قرأها بالرفع؛ أي ضمّ القاف، وفي ذلك يقول الطبري –رضي الله عنه:

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: (يُصَدِّقُنِي) فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة: "رِدْءًا يُصَدِّقْنِي" بجزم "يصدقني". وقرأ عاصم وحمزة: "يَصْدُقُنِي" برفعه، فمن رفعه جعله صلة للردء، بمعنى: فأرسله معي ردءًا؛ من صفته يصدّقني، ومَن جزمه جعله جوابا لقوله: "فأرسله"، فإنك إذا أرسلته صدّقني على وجه الخبر. والرفع في ذلك أحبُّ القراءتين إليّ، لأنّه مسألةٌ من موسى ربّه، أن يرسل أخاه عونًا له بهذه الصفة[2].

[1]– التحرير والتنوير، محمد طاهر بن عاشور، ج8، ص70/69.

[2]– تفسير الطبري، جامع البيان الطبري، ج19، ص578.

فيما قال الرازي في مفاتيح الغيب:

(...) وَقَرَأَ عَاصِمٌ وَحَمْزَةُ (يُصَدِّقُنِي) بِرَفْعِ الْقَافِ، وَيُرْوَى ذَلِكَ أَيْضًا عَنْ أَبِي عَمْرٍو وَالْبَاقُونَ بِجَزْمِ الْقَافِ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ عَنْ أَبِي عَمْرٍو، فَمَنْ رَفَعَ فَالتَّقْدِيرُ "رِدْءًا مُصَدِّقًا لِي"، وَمَنْ جَزَمَ كَانَ عَلَى مَعْنَى الْجَزَاءِ، يَعْنِي "إِنْ أَرْسَلْتَهُ صَدَّقْنِي وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [مَرْيَمَ: ٥، ٦] بِجَزْمِ الثَّاءِ مِنْ "يَرِثُنِي". وَرَوَى السُّدِّيُّ عَنْ بعض شيوخه ردءا كيما يصدقني.

وذكر الإمام الرازي عدة مباحث فنذكر منها الأهم قال: البحث الثالث: الجمهور على أنّ التصديق لهارون، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: الْمَعْنَى كَيْ يُصَدِّقَنِي فِرْعَوْنُ، وَالْمَعْنَى أَرْسِلْ مَعِيَ أَخِي حَتَّى يُعَاضِدَنِي عَلَى إِظْهَارِ الحجّة وَالْبَيَانِ، فَعِنْدَ اجْتِمَاعِ الْبُرْهَانَيْنِ رُبَّمَا حَصَلَ الْمَقْصُودُ مِنْ تَصْدِيقِ فِرْعَوْنَ.

الْبَحْثُ الرَّابِعُ: لَيْسَ الْغَرَضُ بِتَصْدِيقِ هَارُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُ صَدَقْتَ، أَوْ يَقُولَ لِلنَّاسِ صَدَقَ مُوسَى، وَإِنَّمَا هُوَ أَنْ يُلَخِّصَ بِلِسَانِهِ الْفَصِيحِ وُجُوهَ الدَّلَائِلِ، وَيُجِيبَ عَنِ الشُّبَهَاتِ وَيُجَادِلَ بِهِ الْكُفَّارَ فَهَذَا هُوَ التَّصْدِيقُ الْمُفِيدُ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: وَأَخِي هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً، فَأَرْسِلْهُ مَعِي، وَفَائِدَةُ الْفَصَاحَةِ إِنَّمَا تَظْهَرُ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ، لَا فِي مُجَرَّدِ قَوْلِهِ: صَدَقْتَ.[1]

وبهذا نكون قد ألممنا بمجمل ما قاله علماؤنا في الآية من رفع وجزم "يصدقني". فأقوال العلماء تدور على أنه مصدقٌ له أو يصدقه، وبعضهم قال: أنْ يبين الحقّ على لسانه كما هو مذكور آنفا.

وما نستنتجه أن تصديق هارون لموسى يبرز القيم الأخلاقية كالصدق والثقة والإيمان، مما يعزز التعاون والتضامن في خدمة دين الله. وكذلك –تصديق هارون لموسى–

[1]– مفاتيح الغيب، الرازي، ج24، ص597. وللاستزادة أكثر حول هذه الآية ينظر في: كتاب الجدول في إعراب القرآن، محمود صافي، ج10، 256.

يعبر عن التوحيد في الرسالة، والاحترام بين الأخوة، والالتزام بأوامر الله، وتعزيز القيم الأخلاقية والروحانية في التاريخ الإسلامي.

**سورة سبأ**

**والآية** ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ سورة سبأ الآية 52.

والشاهد هو ﴿ ٱلتَّنَاوُشُ ﴾

قال الطاهر بن عاشور –رحمه الله:

﴿ التناوش ﴾قرأه الجمهور بواو مضمومة بعد الألف، وهو التناول السهل أو الخفيف، وأكثر وروده في شرب الإبل شرباً خفيفاً من الحوض ونحوه، قال غَيلان بن حُرَيْث:

باتتْ تنُوش الحوضَ نَوْشاً من عَلا *** نَوْشاً به تقطع أجْواز الفَلا

يتحدث عن راحلته، أي تتناول الماء من أعلاه، ولا تغوص مشافرها فيه.

وجملة﴿ وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ﴾مركب تمثيلي، يفيد تشبيه حالهم؛ إذ فرطوا في أسباب النجاة، وقت المِكْنَة منها حين كان النبي –صلى الله عليه وسلم –يدعوهم ويحرضهم ويحذرهم، وقد عمرهم الله ما يتذكر فيه من تذكر، ثم جاؤوا يطلبون النجاة بعد فوات وقتها، فحالهم كحال من يريد تناوشها، وهو في مكان بعيد عن مراده؛ الذي يجب تناوله.

وهذا التمثيل قابل لتفريق أجزائه؛ بأن يشبه السعي بما يحصل بسرعة بالتناوش، ويشبه فوات المطلوب بالمكان البعيد كالحوض.

وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وخلفٌ بالهمزة في موقع الواو، فقال الزجاج: وهو من إبدال الواو المضمومة همزة؛ لقصد التخفيف في نطق الضمة، كقوله تعالى: ﴿أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات: 11]، وقولهم: أَجُوهٌ: جمع وجه. وبحث فيه أبو حيان، وقال الفرّاء والزجاج أيضاً: هو من نَأش بالهمز؛ إذا أبطأ وتأخر في عمل. ومنه قول نهشل بن حَرِي النهشلي:

تمنّى نَئِيشاً أن يكون أطاعني *** وقد حدثت بعد الأمور أمور

أي تمنّى أخيراً. وفسر المعري في «رسالة الغفران» نئيشاً بمعنى: بعد ما فات. وعلى كلا التفسيرين فالمراد بالتناوش وصف قولهم:﴿ آمنا به ﴾بأنه إيمان تأخر وقته، أو فات وقته، وفي الجمع بين﴿ مكان قريب ﴾و﴿ مكان بعيد ﴾محسّن الطباق.[1]

وقال صاحب المحيط: قرأ الجمهور: التناوش بالواو. وقرأ حمزة، والكسائي وأبو عمرو، وأبو بكر بالهمز، ويجوز أن يكونا مادتين، إحداهما النون والواو والشين، والأخرى النون والهمزة والشين، وتقدّم شرحهما في المفردات. ويجوز أن يكون أصل الهمزة الواو، على ما قاله الزجاج، وتبعه الزمخشري وابن عطية والحوفي وأبو البقاء، وقال الزجاج: كل واو مضمومة ضمة لازمة، فأنت فيها بالخيار، إن شئت تثبت همزتها، وإن شئت تركت همزتها. تقول: ثلاث أدور بلا همز، وأدؤر بالهمز. قال: والمعنى: من أنى لهم تناول ما طلبوه من التوبة بعد فوات وقتها، لأنّها إنما تقبل في الدنيا، وقد ذهبت الدنيا، فصارت على بعد من الآخرة، وذلك قوله تعالى: ﴿ من مكان بعيد ﴾. وقال الزمخشري: همزت الواو المضمومة كما همزت في أجوه وأدور. وقال ابن عطية: وأمّا التناؤش بالهمز فيحتمل أن يكون من التناوش، وهمزت الواو لما كانت مضمومة ضمة لازمة، كما قالوا: أفتيت. وقال الحوفي: ومن همز احتمل وجهان: أحدهما: أن يكون من الناش، وهو الحركة في إبطاء، ويجوز أن يكون من ناش ينوش، همزت الواو لانضمامها، كما همزت أفتيت وأدور. وقال أبو البقاء: ويقرأ بالهمز من أجل الواو، وقيل: هي أصل من ناشه. انتهى. وما ذكروه من أن الواو إذا كانت مضمومة ضمة لازمة يجوز أن تبدل همزة، ليس على إطلاقه، بل لا يجوز ذلك في المتوسطة إذا كان مدغمة فيها، ونحو يعود ويقوم مصدرين؛ ولا إذا صحت في الفعل نحو: ترهوك ترهوكاً، وتعاون تعاوناً، ولم يسمع همزتين من ذلك، فلا يجوز. والتناوش مثل التعاون، فلا يجوز همزه؛ لأن واوه قد صحت في الفعل، إذ يقول: تناوش.[2]

[1]– التحرير والتنوير، محمد طاهر بن عاشور ج22، ص 244/243.

[2]– البحر المحيط، أبو حيان، ج8، ص566.

وبهذا يكون عندنا قراءتان لكلمة التناوش، إحداهما بالواو مضمومة، وآخرتها بإثبات الهمزة، فقيل: معناها التناول، ومعناها الرجوع، وقيل هو الحركة في إبطاء، وتفصيل هذا كله ذكرناه آنفا، وبه نكون قد أتممنا الربع الثالث للقرآن الكريم؛ بآيات مختارات، اختلف فيها القراء وكشفنا عن أسرارها النحوية والبلاغية، آملين أن نكون استفدنا وأفدنا وإن حصل ذلك فهو تكرم من ربنا علينا.

## المبحث الرابع: النكت النحوية والبلاغية لاختلاف القراءات القرآنية لنماذج من الربع الرابع (الأخير) للقرآن الكريم.

نفتتح بعون الله وتوفيقه الربع الأخير للقرآن الكريم، والذي يبتدئ من سورة يس إلى سورة الناس؛ محاولين بسط بضع آيات اختلف القراء في قراءتها، مفتشين عن نكتها النحوية والبلاغية؛ التي استنبطها علماؤنا الأجلاء –رضي الله عنهم –ونفعنا بعلومهم في الدارين.

**سورة يس**

الآية: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾

والشاهد في الآية: ﴿يَخِصِّمُونَ ﴾

قال صاحب التحرير والتنوير: اختلَف القراء في كيفية النطق بها، فقرأه الجميع بفتح الياء واختلفوا فيما عدا ذلك: فقرأ ورش عن نافع وابنُ كثير وأبو عمرو في رواية عنه﴿ يَخصّمُونَ ﴾بتشديد الصاد مكسورة على اعتبار التاء المبدلة صاداً والمسَكَّنةُ؛ لأجل الإدغام، ألقيت حركتُها على الخاء التي كانت ساكنة. وقرأه قالون عن نافع، وأبو عمرو في المشهور عنه بسكون الخاء سكوناً مختلَساً (بالفتح)؛ لأجل التخلص من التقاء الساكنين وبكسر الصاد مشدّدة. وقرأه عاصم والكسائي وابنُ ذكوان عن ابن عامر ويعقوبُ وخلف﴿ يَخصّمُونَ ﴾بكسر الخاء وكسر الصاد مشدّدة. وقرأه حمزة﴿ يخْصِمون ﴾؛ بسكون الخاء وكسر الصاد مخفّفة مضارع (خَصم)، قيل: بمعنى جادل. وقرأ أبو جعفر﴿ يخْصِّمون ﴾؛ بإسكان الخاء وبكسر الصاد مشددة على الجمع بين الساكنين. والاختصام: اختصامهم في الخروج إلى بدر، أو في تعيين من يخرج؛ لما حلّ بهم من مفاجآت لهم، وهم يختصمون بين مصدق ومكذب للنذير.[1]

[1]– التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج23، ص35.

وقال ابن عطية في هذا الصدد:

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والأعرج وشبل وابن القسطنطين المكي: «يخصّمون»؛ بفتح الياء والخاء وشدّ الصاد المكسورة، وأصلها "يختصمون" نقلت حركة التاء إلى الخاء، وأدغمت التاء الساكنة في الصاد، وقرأ نافع وأبو عمرو أيضا «يخصّمون» بفتح الياء وسكون الخاء وشد الصاد المكسورة وفي هذه القراءة جمع بين الساكنين، ولكنه جمع ليس بجمع محض ووجّهها أبو علي، وأصلها "يختصمون" حذفت حركة التاء، دون نقل ثم أدغمت في الصاد، وقرأ عاصم والكسائي وابن عامر ونافع أيضا والحسن وأبو عمرو بخلاف عنه «يخصّمون» بفتح الياء وكسر الخاء، وشدّ الصاد المكسورة، أصلها "يختصمون" عللت كالتي قبلها، ثم كسرت للالتقاء، وقرأت فرقة «يخصّمون» بكسر الياء والخاء وشدّ الصاد المكسورة، عللت كالتي قبلها، ثم أتبعت كسرة الخاء كسرة الياء، وفي مصحف أُبيّ بن كعب «يختصمون» ومعنى هذه القراءات كلها أنهم يتحاورون ويتراجعون الأقوال بينهم، ويتدافعون في شؤونهم، وقرأ حمزة «يختصمون»، وهذه تحتمل معنيين، أحدهما المذكور في القراءات؛ أي يخصم بعضهم بعضا؛ في شؤونهم، والمعنى الثاني يخصمون أهل الحقّ في زعمهم وظنهم، كأنه قال: تأخذهم الصيحة، وهم يظنون بأنفسهم أنهم قد خصموا وغللوا؛ لأنك تقول: خاصمت فلانا فخصمته؛ إذا غلبته.[1]

وما يمكن قوله في الختام: أن اختلاف هذه القراءات بالتشديد والتخفيف والوزن يعكس تنوعاً في الأسلوب والنغمة والتلاوة، مع الحفاظ على المعنى الأساسي للكلمة التي تعني "يتنازعون" أو "يختصمون" في النار، في إشارة إلى الجدال والنزاع الذي سيكون بين الكفار في الآخرة.

**سورة الزخرف**

[1]– المحرر الوجيز، ابن عطية، ج4، ص 457.

للاستزادة أكثر ينظر في: كتاب لغات القرآن، أبو زكرياء يحيى بن زياد بن منظور الفراء، ص120.

الآية: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾سورة الزخرف الآية 19.

الشاهد هو: ﴿عِندَ ﴾يقول الإمام الطبري رحمه الله.

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة: "الذين هم عند الرحمن" بالنون، فكأنهم تأولوا في ذلك قول الله جلّ ثناؤه: "إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ"، فتأويل الكلام على هذه القراءة: "وجعلوا ملائكة الله الذين هم عنده يسبحونه ويقدسونه إناثا، فقالوا: هم بنات الله جهلا منهم بحق الله، وجرأة منهم على قيل الكذب والباطل. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة﴿ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ﴾بمعنى: جمع عبد. فمعنى الكلام على قراءة هؤلاء: "وجعلوا ملائكة الله الذين هم خلقه وعباده بنات الله"، فأنثوهم بوصفهم إياهم بأنهم إناث. والصواب من القول في ذلك عندي: إنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار، صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن الملائكة عباد الله وعنده[1].

وقد ذكر صاحب الحجة للقراء السبعة كلاما مشابها لما قاله الإمام الطبري، وذلك من الجزء السادس في الصفحة 141.

وأورد الطاهر بن عاشور كلاما في الآية، يتدفق بيانا فقال: وجملة﴿ الذين هم عند الرحمن ﴾صفة الملائكة. قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب ﴿ عند ﴾ بعين فنون ودال مفتوحة، والعندية عندية تشريف، أي الذين هم معدودون في حضرة القدس المقدسة بتقديس الله، فهم يتلقون الأمر من الله بدون وساطة، وهم دائبون على عبادته، فكأنهم في حضرة الله، وهذا كقوله :﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [ الأنبياء : 19 ] وقوله :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ ﴾ [ الأعراف : 206 ] ومِنْه قول النبي – صلى الله عليه وسلم « تحاجَّ آدمُ وموسى عندَ الله عز وجل » الحديث، فالعندية مجاز، والقرينة هي شأن من أضيف إليه "عِنْد". وقرأ الباقون

[1]- جامع البيان، الطبري، ج21، ص 582.

﴿ عِبَادُ الرحمن ﴾ بعين وموحدة بعدها ألف ثم دال مضمومة على معنى: "الذين هم عباد مُكرمون"، فالإضافة إلى اسم الرحمن تفيد تشريفهم، قال تعالى : ﴿سُبْحَانَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [ الأنبياء : 26 ] والعبودية عبودية خاصّة، وهي عبودية القرب كقوله تعالى : ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا ﴾ [ القمر: 9].[1]

وختاما نقول أن اختلاف القراءات في قوله تعالى "عباد الرحمان" و"عند الرحمان" يعكس تنوعاً لفظياً وقرائياً معتمداً في التراث الإسلامي.والدلالة الناجمة عن هذا الاختلاف تتضمن مقامين اثنين مقام العندية ومقام العبودية: عباد الرحمان تشير إلى الناس الذين يعبدون الله بإخلاص وتقوى، بينما "عند الرحمان" قد يشير إلى الذين هم بالقرب من الله أو بجواره.

**سورة الذاريات**

الآية التي اختلف فيها القراء هي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾سورة الذاريات الآية23. فمنهم من رفعها ومنهم من نصبها لقول الطاهر بن عاشور:﴿ مثل ما أنكم تنطقون ﴾زيادة تقرير لوقوع ما أوعدوه بأن شبه بشيء معلوم، كالضرورة لا امتراء في وقوعه، وهو كون المخاطبين ينطقون. وهذا نظير قولهم: كما أن قبلَ اليوم أمس، أو كما أنّ بعد اليوم غداً. وهو من التمثيل بالأمور المحسوسة، ومنه تمثيل سرعة الوصول لقرب المكان في قول:

فهنّ ووادِي الرسّ كاليد للفم

وقولهم: مثل ما أنك ها هنا، وقولهم: كما أنك ترى وتسمع.

[1]– التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج25، ص183.

وقرأ الجمهور﴿ مثلَ ﴾بالنصب؛ على أنه صفة حال محذوف، قصد منه التأكيد. والتقدير: إنّه لحقٌّ حقًّا مثل ما أنكم تنطقون. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وخلف مرفوعاً على الصفة﴿ لحق ﴾صفة أريد بها التشبيه[1].

وقال صاحب التبيان:

قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ مِثْلَ مَا ﴾: يُقْرَأُ بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ نَعَتٌ لِـ " حَقٌّ"، أَوْ خَبَرٌ ثَانٍ، أَوْ عَلَى أَنَّهُمَا خَبَرٌ وَاحِدٌ؛ مِثْلَ حُلْوٍ حَامِضٍ. وَ" مَا " زَائِدَةٌ عَلَى الْأَوْجُهِ الثَّلَاثَةِ.

وَيُقْرَأُ بِالْفَتْحِ وَفِيهِ وَجْهَانِ؛ أَحَدُهُمَا: هُوَ مُعْرَبٌ، ثُمَّ فِي نَصْبِهِ عَلَى هَذَا أَوْجُهٌ؛ إمَّا هُوَ حَالٌ مِنَ النَّكِرَةِ، أَوْ مِنَ الضَّمِيرِ فِيهَا، أَوْ عَلَى إِضْمَارِ أَعْنِي، أَوْ عَلَى أَنَّهُ مَرْفُوعُ الْمَوْضِعِ؛ وَلَكِنَّهُ فُتِحَ كَمَا فُتِحَ الظَّرْفُ فِي قَوْلِهِ:﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾

[الْأَنْعَامِ: 94] عَلَى قَوْلِ الْأَخْفَشِ، وَ" مَا " عَلَى هَذِهِ الْأَوْجُهِ زَائِدَةٌ أَيْضًا. وَالْوَجْهُ الثَّانِي: هُوَ مَبْنِيٌّ، وَفِي كَيْفِيَّةِ بِنَائِهِ وَجْهَانِ :أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ رَكِبَ مَعَ " مَا " كَخَمْسَةَ عَشَرَ، وَ" مَا " عَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ زَائِدَةً، وَأَنْ تَكُونَ نَكِرَةً مَوْصُوفَةً. وَالثَّانِي: أَنْ تَكُونَ بُنِيَتْ لِأَنَّهَا أُضِيفَتْ إِلَى مُبْهَمٍ، وَفِيهَا إِبْهَامٌ، وَقَدْ ذُكِرَ مِثْلُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ وَمِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ ﴾ [هُودٍ: 66]، فَتَكُونُ " مَا " عَلَى هَذَا أَيْضًا إِمَّا زَائِدَةً، وَإِمَّا بِمَعْنَى شَيْءٍ. وَأَمَّا " أَنَّكُمْ " فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعُهَا جَرًّا بِالْإِضَافَةِ إِذَا جُعِلَتْ " مَا " زَائِدَةً، وَأَنْ تَكُونَ بَدَلًا مِنْهَا إِذَا كَانَتْ بِمَعْنَى شَيْءٍ.[2]

تتعلق الدلالة بالاختلاف في مثل برفعها ونصبها بناءً على القراءات المختلفة :

وملخص القول أن الله سبحانه أكد وعده بالتمثيل بشيء محسوس وقريب وهو مما لا امتراء فيه.

[1]– المرجع نفسه، ج26ص 355.

[2]– التبيان في إعراب القرآن، ج2، ص 180. وللاستزادة ينظر إلى مفاتيح الغيب، الرازي، ج28، ص173.

فمن قرأ بالنصب قصد منه التأكيد.وأما من قرأ بالرفع فقد رفع على الصفة لحق أريد بها التشبيه، والله أعلم.

**سورة القمر**

الآية ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾سورة القمر الآية 03.

والشاهد: ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾قال صاحب التبيان في إعراب القرآن:

قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ وَكُلُّ أَمْرٍ ﴾: هُوَ مُبْتَدَأٌ، وَ (مُسْتَقِرٌّ): خَبَرُهُ. وَيُقْرَأُ بِالْجَرِّ صِفَةً لِأَمَرٍ؛ وَفِي " كُلُّ " وَجْهَانِ؛ أَحَدُهُمَا: هُوَ مُبْتَدَأٌ، وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ؛ أَيْ مَعْمُولٌ بِهِ، أَوْ أَتَى. وَالثَّانِي: هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى " السَّاعَةِ ".[1]

كما قال أبو حيان:( وكلّ أمر مستقر ﴾، بكسر القاف وضم الراء: مبتدأ وخبر.

قال مقاتل: أي له غاية ينتهي إليها .وقال الكلبي: مستقرّ له حقيقة، فما كان في الدنيا فسيظهر، وما كان في الآخرة فسيعرف. وقال قتادة: معناه أن الخير يستقر بأهل الخير، والشر بأهل الشر. وقيل: يستقر الحق ظاهراً ثابتاً، والباطل زاهقاً ذاهباً.

وقيل: كل أمر من أمرهم وأمره يستقر على خذلان، أو نصرة في الدنيا وسعادة، أو شقاوة في الآخرة. وقرأ شيبة: مستقر بفتح القاف، ورويت عن نافع؛ وقال أبو حاتم: لا وجه لفتح القاف. وخرّجت على حذف مضاف، أي ذو استقرار، وزمان استقرار.

وقرأ أبو جعفر وزيد بن علي: مستقر بكسر القاف والراء معاً صفة لأمر. وخرجه الزمخشري على أن يكون وكل عطفاً على الساعة، أي اقتربت الساعة، واقترب كل أمر مستقر يستقر ويتبين حاله، وهذا بعيد لطول الفصل بجمل ثلاث، وبعيد أن يوجد مثل هذا التركيب في كلام العرب، نحو: أكلت خبزاً وضربت زيداً، وأن يجيء زيد أكرمه ورحل إلى بني فلان ولحماً، فيكون ولحماً عطفاً على خبزاً، بل لا يوجد مثله في كلام العرب. وخرجه صاحب

[1]– التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، ج2، ص 1192.

اللوامح على أنه خبر لكل، فهو مرفوع في الأصل، لكنه جر للمجاورة، وهذا ليس بجيد، لأن الخفض على الجوار في غاية الشذوذ، ولأنه لم يعهد في خبر المبتدأ، إنما عهد في الصفة على اختلاف النحاة في وجوده، والأسهل أن يكون الخبر مضمراً لدلالة المعنى عليه، والتقدير:﴿ وكل أمر مستقر ﴾بالغوه، لأنّ قبله:﴿ وكذبوا واتبعوا أهواءهم ﴾: أي وكل أمر مستقر لهم في القدر؛ من خير أو شرّ بالغوه هم. وقيل: الخبر حكمة بالغة، أي وكلّ أمر مستقر حكمة بالغة. ويكون:﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر ﴾اعتراض بين المبتدأ وخبره .وقيل: الخبر حكمة بالغة، أي وكل أمر مستقر حكمة بالغة. ويكون:﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر ﴾اعتراض بين المبتدأ وخبره.[1]

نخلص مما سبق ذكره أنه من قرأ "مستقر" بخفض الراء على أنه صفة لأمر، وخبر "كل" محذوف تقديره: "بالغوه"، وقرأ الباقون "مستقر" برفع الراء على أنه خبر "لكل" والمعنى أن كل أمر من الأمور منته إلى نتيجة لامحالة، فالخير مستقر لأهل الخير، والشرّ مستقر لأهل الشرّ، والله أعلم.

**سورة الأعلى**

الآية ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾سورة الأعلى الآية 03.

والشاهد ﴿ قَدَّرَ ﴾قال الإمام الرازي رضي الله عنه:

قَرَأَ الْجُمْهُورُ: قَدَّرَ مُشَدَّدَةً وَقَرَأَ الْكِسَائِيُّ عَلَى التَّخْفِيفِ، أَمَّا قِرَاءَةُ التَّشْدِيدِ فَالْمَعْنَى أَنَّهُ قَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ بِمِقْدَارٍ مَعْلُومٍ، وَأَمَّا التَّخْفِيفُ فَقَالَ الْقَفَّالُ: مَعْنَاهُ مَلَكَ فَهَدَى وَتَأْوِيلُهُ: أَنَّهُ خَلَقَ فَسَوَّى، وَمَلَكَ مَا خَلَقَ، أَيْ تَصَرَّفَ فِيهِ كَيْفَ شَاءَ وَأَرَادَ، وَهَذَا هُوَ الْمِلْكُ فَهَدَاهُ لِمَنَافِعِهِ وَمَصَالِحِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: هُمَا لُغَتَانِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿ فَقَدَّرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ [الْمُرْسَلَاتِ: ٢٣] بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ. أَنَّ قَوْلَهُ: قَدَّرَ يَتَنَاوَلُ الْمَخْلُوقَاتِ فِي ذَوَاتِهَا وَصِفَاتِهَا كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِهِ فقدر السموات وَالْكَوَاكِبَ وَالْعَنَاصِرَ وَالْمَعَادِنَ

[1]– البحر المحيط، أبو حيان، ج10، ص34.

وَالنَّبَاتَ وَالْحَيَوَانَ وَالْإِنْسَانَ بِمِقْدَارٍ مَخْصُوصٍ مِنَ الْجُثَّةِ وَالْعِظَمِ، وَقَدَّرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِنَ الْبَقَاءِ مُدَّةً مَعْلُومَةً وَمِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَلْوَانِ وَالطُّعُومِ وَالرَّوَائِحِ وَالْأُيُونِ وَالْأَوْضَاعِ وَالْحُسْنِ وَالْقُبْحِ وَالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ وَالْهِدَايَةِ وَالضَّلَالَةِ مِقْدَارًا مَعْلُومًا عَلَى مَا قَالَ: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الْحِجْرِ: ٢١] وَتَفْصِيلُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ مِمَّا لَا يَفِي بِشَرْحِهِ الْمُجَلَّدَاتُ، بَلِ الْعَالَمُ كُلُّهُ مِنْ أَعْلَى عِلِّيِّينَ إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ، تَفْسِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ. وَتَفْصِيلُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ.[1]

وأضاف الطاهر بن عاشور قائلا: وَالتَّقْدِيرُ: وَضْعُ الْمِقْدَارِ وَإِيجَادُهُ فِي الْأَشْيَاءِ فِي ذَوَاتِهَا وَقُوَاهَا، يُقَالُ: قَدَّرَ بِالتَّضْعِيفِ وَقَدَرَ بِالتَّخْفِيفِ بِمَعْنًى .وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ بِالتَّشْدِيدِ وَقَرَأَهَا الْكِسَائِيُّ وَحْدَهُ بِالتَّخْفِيفِ.

وَالْمِقْدَارُ: أَصْلُهُ كَمِّيَّةُ الشَّيْءِ الَّتِي تُضْبَطُ بِالذَّرْعِ أَوِ الْكَيْلِ أَوِ الْوَزْنِ أَوِ الْعَدِّ، وَأُطْلِقَ هُنَا عَلَى تَكْوِينِ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى كَيْفِيَّاتٍ مُنَظَّمَةٍ مُطَّرِدَةٍ مِنْ تَرْكِيبِ الْأَجْزَاءِ الْجَسَدِيَّةِ الظَّاهِرَةِ، مِثْلَ الْيَدَيْنِ، وَالْبَاطِنَةِ مِثْلَ الْقَلْبِ، وَمِنْ إِيدَاعِ الْقُوَى الْعَقْلِيَّةِ كَالْحِسِّ وَالِاسْتِطَاعَةِ وَحِيَلِ الصِّنَاعَةِ.[2]

كما قال صاحب البحر المحيط: قرأ الجمهور:﴿ قدّر ﴾بشدّ الدال، فاحتمل أن يكون من القدر والقضاء، واحتمل أن يكون من التقدير والموازنة بين الأشياء وقال الزمخشري: قدّر لكل حيوان ما يصلحه، فهداه إليه وعرّفه وجه الانتفاع به، انتهى. وقرأ الكسائي: قدر مخفف الدال من القدرة أو من التقدير والموازنة، وهدي عام لجميع الهدايات.[3]

حاصل الكلام أنّ قراءة "قدّر" بالتخفيف الدال على أنه فعلٌ ماضٍ؛ من القدرة على إيجاد المخلوقات من العدم، وعلى الإحياء والأمانة والرزق والإعانة والشقاء والسعادة.

---

[1] – مفاتيح الغيب، الرازي، ج31، ص 129.

وللاطلاع والتوسع أكثر ينظر كذلك: في كتاب ابن الجزري، ج2، ص474/473.

[2]– التحرير والتنوير، محمد طاهر بن عاشور، ج30، ص 276.

[3]– البحر المحيط، أبو حيان، ج10، ص456.

وقراءة "قدّر" بتشديد الدال على أنه فعل ماضٍ من التقدير؛ أي: تقدير أجناس الأشياء وصفاتها وأفعالها وأقوالها وأحوالها وآجالها وهداها ويسرها؛ لما خلقت له، والقدرة من صفات الله المطلقة الظاهرة في الكون؛ التي تدلنا على وجوب وجوده سبحانه ووحدانيته.

وأخيرا فإن دلالة "قَدر" تشير إلى أنه يُفهم بمعنى السلطان والقدرة المطلقة وتُظهر الآية التوافق الكامل فيما بين القدر والشيء المقدور في حكمة الله تعالى.

## خاتمة:

الحمد لله على حلمه بعد علمه وعلى منّه وعظيم فضله، فهو المتكرم علينا بإنجاز هذا البحث الذي يخص كتابه الكريم المحفوظ في الصدور المقروء بالألسنة المكتوب في المصاحف، فيه خبر من قبلنا ونبأ من بعدنا، فهو مفجر العلوم ومنبعها ودائرة شمسها ومطلعها أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء وأبان فيه كل هدي وغيّ، فترى كل ذي فن منه يستمد وعليه يعتمد ولا شك أن القرآن نزل على لسان العرب قال تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) وكما نعلم أن سيدنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قرأ القرآن بقراءات مختلفة وأقرأ صحابته كذلك بها حتى وصلت إلينا بالسند المتصل إليه

–صلى الله عليه وسلم– وهذه القراءات المشهورة هي اختيار أولائك الأئمة القراء وذلك أن كل واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءات ماهو الأحسن عنده والأولى فالتزمه طريقة ورواه وأقرأ به واشتهر عنه وعرف به ونسب إليه. وقبل أن نضع نقطة النهاية ونرفع قلم البداية نُلخّص أهم النتائج المتوصل إليها في البحث:

1–اختلاف القراءات في الأداء من الناحية الصوتية والصرفية والنحوية هو اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض، لأن التناقض يتنزه عنه كتاب الله عز وجل.

2–والقراءات القرآنية مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به إمام من الأئمة القراء مذهبا يخالف فيه غيره.

3–ثم إن القراءات القرآنية ثابتة بأسانيدها إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

4–ويرجع اختلاف القراءات شاذها وصحيحها وضعيفها ومنكرها إلى سبعة أوجه لا يخرج عنها:

1/في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة

2/بتغير في المعنى فقط

3/في الحروف بتغير المعنى لا الصورة

4/عكس ذلك

5/بتغيرهما –أي المعنى والصورة

6/في التقديم و التأخير

7/في الزيادة والنقصان

5–ونؤكد بذلك أن فنون اللغة من نحو وصرف وبلاغة واشتقاق وخطابة تفجرت ينابيعها ببزوغ فجر القرآن وتنوع قراءاته، فتناوش العلماء بشغف ونهم دراسة وتدريس علوم القرآن وتوجيه قراءاته وأوجه اختلافه فخلفوا لنا بذلك موسوعة تروي الظمآن.

ومما نوصي به القارئ والباحث خاصة في علم العربية أن يكون له حبل اتصال بالقراءات القرآنية فهو الحصن الحصين لرد شبهات عصره، وقد كان علماؤنا القدماء –رضي الله عنهم–قد جمعوا بين علم العربية والقراءات فجادوا وأفادوا، فمن كان منهم نحويا بليغا فقد كان له حبل الصلة بالقرآن والاشتغال بالقراءات فردوا اتهامات الكائدين وافتراءات المنافقين.

وعلى الباحث المتطلع إلى التمكن في فنه أن يحاول جمع القراءات ويكون له السند فيها وإن لم يستطع فلا تخمد همته إلى أن يتحصل على إجازة في القراءة المعتمدة في بلدته.

كما نذكر بوصية سيدنا –رسول الله صلى الله عليه وسلم–: (خيركم من تعلم القرآن وعلّمه) والعربية أولى بالتعلم والتعليم لفهم خطاب ربنا تبارك وتعالى.

ومن أراد أن يجمع القرآن في صدره ويفهم معانيه ويعمل بمقتضاه فما عليه إلا الانكباب على علوم اللغة بشتى أنواعها من نحو وصرف وبلاغة وغيرها، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ فاطر الآية 26. فإنما العلم خشية

وقبل طي ورقات بحثنا هذه لا يسعنا إلا أن نقول قد سعينا في تقديم بحثنا على الوجه الذي يرضي ربنا تبارك وتعالى فإن أحسنا فمن الله وحده وتوفيقه ثم بمساندة سيدي وولي نعمتي الأستاذ والوالد حسين سعدودي فقد كان له الفضل في إخراج بحثنا وتصويب

## خاتمة:

مساره ليقدّم إليكم في حلّته القشيبة هاته، فإن كان به من نقص فمن نفسي ومن الشيطان سائلين الله تعالى أن يعفو عن كل تقصير وزلل بدر منا وكتبه قلمنا وسهت فيه نفسنا خاصة ونحن بصدد تطبيق هذه الدراسة على أعظم وأعجز كتاب خاطب به رب العالمين الناس أجمعين، فنسأل الله الإخلاص والقبول ونعوذ به أن نشرك به شيئا نعلمه ونستغفره لما لا نعلمه والحمد لله وحده.

تم بحمد الله.

# قائمة

# المصادر والمراجع

**قائمة المصادر والمراجع:**

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق.

1-مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرثمالة، بيروت، ط8، 1981م.

2-معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمان بن أبي بكر جلال السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1988، ج1.

3-أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، تح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، كتاب القاف، ج2.

4-الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د/ط، 1974، ج1.

5-الأصول في النحو، أبو بكر بن السري بن سهل النحو المعروف بابن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسه الرسالة، لبنان، بيروت، ج41.

6-الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجبل، بيروت، ط3، ج1.

7-البديع في علم النحو، محمد مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ابن الجزري ابن الأثير، تح: فتحي أحمد علي الثرى، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط1، ج1.

8-البلاغة العربية، عبد الرحمان بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق،الدار الشامية، بيروت، ط1، 1991م، ج1.

9-التيسير في القراءات السبع، أبا عمرو الداني، تح: خلف محمود سالم والشيخ علي بن عبد الرحمان الحنيفي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط1، 2015م.

10-الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي (ت377هـ) ، تح: بدر الدين فهوجي تد: عبد العزير رباح وأحمد يوسف الدقلق، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط2، 1993م، ج1.

11-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت393هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1408هـ، 1987م

12-الصناعتين، أبو هلال العسكري، د ط، د تح، د د.

13-القراءات وأثرها في علوم لعربية، محمد سالم محسن (ت1422هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1984م، ج1.

14-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القارة، إبراهيم مصطفى أحمد، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، 1431، ج1، باب الباء.

15-تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري أبو منصور (ت370هـ) ، تح: محمد عوض مرعب، دار الإحياء التراث العربي، بيروت ط1، 2001، ج9، باب القاف والراء.

16-خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط7.

17-فضائل القرآن وتلاوته، أبو الفضل عبد الرحمان بن أحمد بن الحسن الرازي، (ت454هـ)، تح: الدكتور عامر حسن البصري، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1994.

18-لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، فصل القاف، ج1.

19-مدخل في علوم القراءات، السيد رزق الطويل، المكتبة الفيصلية، ط1، 1985م.

20-معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تح: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، مطبعة مصطفى الباي، 1357هـ، القاهرة، مصر، ص202.

21-معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت 170هـ) ، تح: مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، 1431هـ، من الثلاثي المعتل باب القاف والراء.

22-معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء، القزويني الرازي أبو الحسين، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م، ج5، باب النون والحاء (نحو).

23-نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز، الإمام فخر الدين بن محمد بن عمرو بن الحسين الرازي، تح: نصر الله حاجي مغني أوعلى، دار صادر، بيروت، ط1، 2004.

# فهرس المحتويات

**فهرس المحتويات:**

مقدمة ..... أ/ج

**الفصل الأول**:

**اختلاف القراءات القرآنية نكت نحوية بلاغية دراسة نظرية**

المبحث الأول: ماهية القرآن الكريم لغة واصطلاحا ..... 7
أ/ المطلب الأول: القرآن لغة: ..... 7
ب/ المطلب الثاني: القرآن اصطلاحا:..... 9
المبحث الثاني: ماهية القراءات القرآنية..... 13
معنى الحرف ..... 13
ما المقصود بهذه السبعة؟ ..... 14
ما وجه أن تكون سبعة دون تكون أقل او أكثر؟ ..... 14
المطلب الأول: القراءات لغة ..... 17
المطلب الثاني: القراءات اصطلاحا ..... 19
المبحث الثالث: ماهية النحو لغة واصطلاحا ..... 23
المطلب الأول: ماهية النحو ..... 23
المطلب الثاني: ماهية النحو اصطلاحا ..... 25
المبحث الثالث: ماهية البلاغة لغة. ..... 27
المطلب الأول: ماهية البلاغة لغة ..... 29
المطلب الثاني: ماهية البلاغة اصطلاح ..... 29
بلاغة المتكلم في الاصطلاح ..... 31

## الفصل الثاني

## النكت النحوية والبلاغية مختارات من النصف الأول للقرآن الكريم

تمهيد:..... 39
المبحث الأول: النكت النحوية والبلاغية نماذج من الربع الأول للقرآن الكريم ..... 40
المبحث الثاني: النكت النحوية والبلاغية لاختلاف القراءات القرآنية لنماذج من الربع الثاني للقرآن الكريم ..... 63
المبحث الثالث: النكت النحوية والبلاغية لاختلاف القراءات القرآنية لنماذج من الربع الثالث للقرآن الكريم ..... 70
المبحث الرابع: النكت النحوية والبلاغية لاختلاف القراءات القرآنية لنماذج من الربع الرابع (الأخير) للقرآن الكريم ..... 79
خاتمة ..... 88
قائمة المصادر والمراجع ..... 92
فهرس المحتويات ..... 96